فلسفة مريض نفسي -04-
اضطراب
ادجرفور العباس

فلسفة مريض نفسي -04-

اضطراب

اهداء المؤلف:

أهدي هذه الرواية لمن سيسير معي في دربي ان أنا سرت فيه.

اهداء الراوي:

أنا الراوي فلمن أهدي روايتي؟! طيب، سأهديها لكل من صبر عليها ووصل معها الى هذا الحد.

مقدمة المؤلف:

أولا، الرواية خيالية وللترفيه لا غير، لا تدعها تؤثر عليك.

ثانيا، ان لم تفهم الجزء الفارط فأنصحك باعادة قراءته مدققا، تجد النسخة المحدثة منه على الانترنت.

ثالثا، لا يوجد ثالثا.

مقدمة الراوي:

هذا الجزء تكملة للأجزاء الماضية ولا يمكن فهمه دون قرائتها أولا.

الفصل الأول:

ابنة الجبل

سماء زرقاء صافية وعصافير تزقزق، لعل هذه الجملة تصلح بداية لرواية رومانسية، لكن أن تكون لرواية رعب فهذا أمر غريب! دعوني أكمل لكم، استيقظت على قمة هضبة، مروج خضراء وسماء صافية وجسد ممدد على العشب، ذاك أنا شارد الذهن أحاول تذكر أين كنت وكيف وصلت إلى هنا، وأيضا: ما اسمي؟ [1]

استجمعت نفسي بصعوبة، كل عضلة في جسدي تشتكي وكأني اشتغلت سبعين ساعة دون نوم. بخطى مترنحة سرت نحو أقرب قرية لمحتها عيناي. بيوت متشابهة ذات طابع روماني قديم، مبنية بالطوب وسقفها من الخشب، شارع رئيسي مبلل بالطين وطرق فرعية ضيقة، بجانب بعض تلك البيوت إسطبلات للأحصنة، هذا يدل على أن الفروسية منتشرة هنا أو أنني في عصر قديم. بضائع معروضة على جانبي الطريق، لابد أنني داخل السوق الآن. هذا ذكرني بشيء ولم أدر ما هو[2]، أن تكون تائها لا تعرف حتى اسمك، في مكان لا تعرف فيه أحدا، يجب أن أتشبث بذالك الضوء، تصلبت في مكاني أحاول التذكر ولكن دون جدوى، قررت بعدها سؤال أحد ما؛ الناس كُثر هنا لذالك ألقيت التحية على أول رجل قريب؛ ثم سألته: ما اسم هذه البلدة؟

الرجل: حمص.

العباس فقد ذاكرته 1

[2] تيهانه في أدرار بسبب حادث السيارة في الجزء الأول من الرواية

هززت رأسي بمعنى أنني قد فهمت، ثم أردفت قائلا: في أي عام نحن؟

الرجل: 1516 ميلادي.

أنا: يعني أن هذه المنطقة تحت حكم المماليك الآن؟

الرجل: لا، بل تحت حكم المغول.

هممت أن أعانده ولكنه يعرف المكان أكثر مني. بلدة رومانية اسمها حمص وتحت حكم المغول في 1516؟ ما هذه المعجنة؟ هل أنا في حلم؟ سأستيقظ لو رميت نفسي من فوق جبل إذن. لحسن حظي هناك جبل بجانب القرية سأصعده ثم أقرر ماذا أفعل حينها[3]. مسافة طويلة قطعتها رغم أنك ترى الجبل قريبا جدا ولكنه بعيد، على كل حال فقد وصلت إليه الآن وأنا متعب جدا؛ هذا قطعا ليس حلما، إني أحس بكل شعور وكل نقطة عرق تتصبب مني، الآن أشعر بالدوار، مالذي يجري؟ هناك جرح في قدمي لم أحس به ويبدو أنه نزف كثيرا، الرؤية تهت شيئا فشيئا ويجب علي أن....

قرية رومانية اسمها حمص وتحت حكم التتار؟! في أحد تلك البيوت تسكن أسرة مكونة من بنت وأب وأم، هذه الفتاة عمرها تجاوز العشرين بكثير

---

[3] يرمي نفسه من فوق جبل؟ هل جن الفتى؟

ولكنها تدرس في الثانوية![4] لا تتعجب فهناك مدارس في المدينة المجاورة للقرية.

الفتاة: أمي لقد عدت.

الأم: هل أحضرت معك الخضار واللحم كما أوصيتك؟

الفتاة: نعم، أعشاء الليلة مميز؟

الأم: لا تأملي كثيرا، فهذا خاص بالفتى ذاك، عندما يستيقظ سيجد الأكل أمامه لعله يستعيد صحته.

الفتاة: دائما تهتمين بالضيوف أكثر مني.

الأم: كفاك تذمرا واذهبي للبئر أحضري ماءً.

-قطرات ماء انسالت على وجهي جعلتني أستيقظ مرتعبا، السقف من الخشب والمطر يهطل بشدة؛ من الغرفة المجاورة أسمع صوت الأم تلك تصرخ:

-لو لم تتأخري لما هطلت وأنت تملئين الماء، لقد اتسخت ملابسك مجددا، اووووف.

---

[4] حقا هي قرية مليئة بالعجائب

ثم تمتمات كأنها تلعن الحظ الذي أوقعها في فتاة كهذه. الصوت يقترب وهاهو باب الغرفة الخشبي يفتح كاشفا عن امرأة في الخمسين تهلل وجهها لما رأتني وقالت:

-استيقظت أخيرا، جرحك ليس عميقا وستشفى قريبا.

-شكرا لك، ولكن كم مضى علي من الوقت وأنا نائم؟

-عشر ساعات ليس إلاّ. هل تحس بأي ألم؟

-لا، أنا بخير. هل لي بسؤالك؟

-نعم تفضل فأنت ضيفنا.

-على من كنت تصرخين قبل قليل؟

-ابنتي، أرسلتها لجلب الماء منذ ساعة ولم تعد إلى الآن، كثيرا ما يحصل هذا، لا أدري ماذا تفعل في الطريق.

-ربما عليك تتبعها لمعرفة ذالك.

-سأفكر في الأمر، فلأتركك ترتاح الآن.

خرجت الأم من الغرفة فرحت أستكشفها بعيني، غرفة متوسطة بها خزانة من خشب وكرسي وطاولة. أرضيتها صلبة لم أدر ما كنهها.

المهم الآن أن الباب انفتح مجددا كاشفا عن رجل في الخمسينات من العمر ذو صحة جيدة، لا شك أنه رب البيت، اطمأن علي ثم خرج، هذه هي عادة الرجال فهم لا يحبذون الثرثرة، ثم بعد برهة انفتح الباب مرة أخرى لتدخل فتاة عشرينية ذات وجه جميل بين البياض والسمرة، وقامة متوسطة، لم أعرف عمرها إلا بعد أن سألتها، اسمها "**نينيا**" وتدرس في المدينة، تبدو أكبر مني سنا بكثير خصوصا وأني نحيف الجسم.

-ارتح وسنجد حلا لمشكلتك عندما تستعيد عافيتك.

قالتها وهي تغلق الباب من خلفها.

***

قبل 20سنة:

[5]حسنا حسنا من أين سأبدأ، أنا الأم الخمسينية كما قال عني الراوي، أريد إخباركم عن شيء لكن قبل ذالك سأحكي لكم قصتنا: تزوجت ب "**بافل**" وعمري 20 سنة، التقيت به في أحد أيام الدراسة، كان طالبا جديدا عندما تقدم إلي، هو من عائلة غنية ومع أول يوم رآني تتبع طريقي خلسة ليعلم أين أعيش، ثم في اليوم الذي بعده أخبرني والداي أن هناك من تقدم لخطبتي، رفضت في بادئ الأمر ثم بعد إلحاح منهما وافقت على رؤيته أولا ثم سأتخذ

[5] والدة الفتاة تحكي لكم

قراري، علمت بعدها أنه هو نفسه "بافل"، وافقت على الفور، لا تلوموني إن لم أصفه لكم فهو زوجي وأنا أغار عليه. دعوني أكمل لكم الحكاية وإلا سأتوقف، جيد.. بعد أن تزوجنا توقفت عن الذهاب للمدرسة وتوقف هو كذالك، وبحكم أصوله وعائلته الغنية قام بافتتاح منجم للذهب قرب الجبل. عشنا 3 سنوات حياة رغيدة لولا أننا لم نرزق بمولود، تمر الأيام ثم السنوات 3..4..5..6 سنوات، أصبحت في سن ال26، توفي والدي.. 6..7..8 في سن ال28 توفيت أمي... 8..9..10، في سن ال30 ولم يكتب لنا طفل، استسلمنا للأمر الواقع فإحدانا عقيم. صارحته بالأمر فغضب كثيرا، سألته عما إن كان هناك حالات عقم وراثية في عائلته فقال أنني امرأة غبية وضحك علي ثم رحل بعدها لبلاد أخرى بسبب مهمة طارئة، ربما كره مني عندما سألته عن عائلته، ألم يكن سؤالي مؤدبا!

بعد أن عاد من سفره طرحت عليه فكرة أخرى: "ما رأيك أن نتبنى طفلا؟" ملامح الجدية ارتسمت على وجهي وأنا أقولها، لن أسمح له بالضحك علي مجددا، نظر إلي بتعجب ثم قال: "افعلي ما تشائين، لكن فلتعلمي أنني مشغول ولن أستطيع مساعدتك في تربيته" ثم أردف: "بالمناسبة، سأذهب غدا للمنجم قرب الجبل وسأغيب لمدة يومين، سأترك لك المال في الخزانة كالعادة".. مادام أخبرني أن أفعل ما أريد فسأفكر من أين يمكنني تبني طفل.

في اليوم الموالي ذهب زوجي للعمل وأنا رحت عند جارتي أستشيرها، بيتها يبعد عن بيتي بخمسين مترا، هي أقرب جارة لي، امرأة تكبرني بثلاثين سنة ولديها أربع أبناء كلهم سافروا، اثنان يعملان وواحد يدرس والأخير مفقود منذ عشر سنوات، قلبها لازال منفطرا عليه.. المهم أنني سألتها: "زوجي وافق على تبني طفل، ولكني محتارة أين أجد طفلا بلا أهل"، قالت سريعا:

-مبارك لك، يمكنك الذهاب إلى المدينة فهناك الكثير من المشردين.

-هلّا تذهبين معي غدا إلى هناك؟

-أعتذر، عظامي لم تعد تحتمل السير لمسافات طويلة.

-طيب، على كلٍّ سأعمل بنصيحتك.

في اليوم الموالي كنت في المدينة أبحث عن طفل مشرد؛ آخر مرة أتيت إلى هنا كانت قبل عام، لا أحتاج المجيء إلى هنا مادام زوجي يحضر لي كل شيء من مأكل وملبس، آخر مرة كانت المدينة مليئة بالمشردين، بعضهم جالس على قارعة الطريق وبعضهم يتاجر ببعض الأكل والبعض الآخر يمتهن السرقة، هكذا كان الحال قبل سنة، أما الآن فلست أدري لِمَ لا أرى أيًّا منهم، بحثت وبحثت دون جدوى، لدرجة أنني لم أترك شارعا ولا زقاقا. أخرجت تفاحة كانت معي وبقيت أحملها بيدي لعل أحدهم يأتي ويحاول سرقتها مني ولكن دون جدوى، لم يظهر أيّ منهم، سألت أحد المارين عنهم فقال: "قبل يوم أتى

رجال بمظهر الأثرياء وأخذ كل واحد واحدا، طفل مشرد يأخذه رجل غني، إنهم محظوظون، لو كنت مكانهم لذهبت مهرولا".

هذا حظي التعيس تبعني إلى المدينة، اقتربت الشمس على المغيب وعلي العودة للبيت، سأقطع مسافة 2 كلم حتى أصل، يجب أن أسرع.

المروج الخضراء ممتدة على مد البصر، وصلت إلى بيتي وأنا متعبة لحد الإغماء، أزلت القفل وإذ بذالك الكرسي قرب الخزانة مزحزح عن مكانه، من دخل البيت؟ أخذت عصا خشبية كان يستعملها زوجي لقتل الأفاعي، وبخطى خفيفة توجهت نحو الغرفة، فتحت الباب وإذ بصوت طفلة باكية يندفع من ورائه: "لا تضربني أرجوك، لا تضربني".

***

[6] استأذنت من الأم أن أخرج فسمحت لي بشرط ألا أبتعد، جذبت الباب من خلفي وهاهي ذي المروج الخضراء والهواء العليل، انتظروا لحظة! ألم يكن هناك جبل هنا؟ خرج الأب "بافل" من المنزل فسألته:

-ألم تجدوني أمام جبل؟

-لا، لا يوجد أي جبل هنا، كنت مرميا هناك فوق ذاك المرتفع.

---

[6] **أنا العباس أحكي لكم**

-غريب! ألم أكن مجروحا في قدمي! فبسبب ماذا في رأيك؟

-ربما وطئت على معدن ما، كثير من أهل القرية يرمون بعض المعادن هنا وهناك.

-طيب، في أي عام نحن؟ وما اسم هذه البلدة؟

-1516 ميلادي في مدينة حمص، تحت حكم التتار لو سألت.

-فلماذا تبدو المدينة هادئة؟ أوليس المغول يخربون كل شيء؟

-من قال لك هذا! رغم أن الحكم وراثي والظلم موجود بسببهم إلا إنهم يهتمون بالعمران والتجارة، صحيح أن الفقر موجود ولكن الناس متعاونون فيما بينهم.

-اممم، ماذا تعمل؟ أقصد من أين تأتي بقوت يومك؟

-أصلي من عائلة ثرية وقد افتتحت منجما منذ سنوات ولكني دخلت في دوامة من الديون بسبب قلة الإنتاج، لذالك قمت بإغلاقه، والآن أنا أعيش بإرث عائلتي.

-ألن يأتي عليك يوم وينفد مالك؟ ستقع في مشكلة.

-هههه أنت فتى ذكي رغم صغر سنك، عندما تنفد أموالي سأكون أنا وزوجتي على حافة الموت وابنتنا قد تزوجت.

-تبدو واثقا من أنها لن تبقى عزباء طوال حياتها!

-نحن في الريف لا توجد عندنا فتاة تصل لسن اليأس، على كلٍّ سأذهب إلى المدينة الآن فلدي **موعد مع أحدهم**.

لا شيء يدل على أن بالبلدة خطبا ما، ربما كنت متعبا فرحت أهذي حينها، مهلا! كيف افتتح منجما ولا يوجد هنا أي آثار لوجوده؟ نسيت أن أسأله عن مكانه.

عدت لداخل المنزل حيث تركوني مستلقيا فدخلت عليّ تلك الفتاة ولست أدري أين كانت. نظرت الي برهة ثم قالت:

-تبدو صغيرا في السن، كم عمرك؟

-لا أتذكر شيئا، اعذريني.

-لا يعقل هذا، هل سقطت من السماء أو ما شابه؟ لا فهذا مستبعد مع هذه التشوهات على وجهك هههه

-هل لديك حل لحالتي هذه؟ أحس أن لدي منزلا وأود العودة اليه.

-ما رأيك أن نتجه صوب المدينة نتنزه قليلا ربما تتذكر شيئا ما.

خرجت أنا وهي الى الشارع حيث كان السوق فوجدت القرية تغيرت 180 درجة، البيوت كانت بالطوب فأصبحت بالإسمنت، السقف كان بالخشب

فأصبح بالإسمنت أيضا، سألتها: "ألم تكن هذه البيوت بالطوب قبل مدة يسيرة؟" فأجابت: "لا، هي هكذا منذ عقود، ربما كنت متعبا فلم تفرق بين بيتنا والبيوت الأخرى."

ربما أخطئ أحيانا لكني متأكد من هذا، هناك خطب ما بهذه القرية، ويجب علي اكتشافه قبل أي شيء.

-أنا: هل ترين تلك الهضبة الخضراء هناك، هي أول شيء رأيته، لأنني استيقظت ووجدت نفسي فوقها.

صعدنا الهضبة، المنظر جميل لو أنني من سكان هذه البلدة.

-"عند تلك البيوت الكثيرة هناك توجد المدينة حيث أدرس." هذا ما قالته نينيا قبل أن تردف قائلة: "ما دمت لم تتذكر شيئا هنا فسنذهب غدا للمدرسة لعل أحدهم يعرفك هناك. "

الأحد مارس 1516ميلادي:

مدينة كبيرة ذات طابع عمراني أصيل، تشبه الأندلس لحد كبير لولا أنها تقع في الشرق، عربات تجرها خيول وأرضية صلبة تؤلم القدم، وبضع عربات مملوءة بالخضر والفواكه ترتص على قارعة الطريق، وهذا أنا واقف في مكاني أتمعن في كل شبر من هذه المدينة، حتى قالت نينيا: "العباس!"

-من العباس هذا؟

-تعبت من مناداتك بدون اسم، لهذا سأناديك بالعباس من هذه اللحظة.

-نسيت أن أفكر لنفسي في اسم. اممم العباس! ليس سيئا.

-جيد، الان فلندخل للمدرسة فقد اقترب موعد الدرس.

-أنا شخص غريب، لا يسمح لي بالدخول.

-يرسل الناس الجدد أبناءهم للتعلم مجانا، ففي كل شهر ينضم أربع أو خمس تلاميذ للمدرسة، فاعتبر نفسك جديدا وقدم نفسك ولن نواجه أية مشاكل.

دخلنا ويالیتني ما دخلت، نظرات الناس كلها صوبي وكأني قتلت ءاباآءهم، حتى (نينيا) انتبهت لذلك، لابد أن الجدد لا يحظون بهذا الاهتمام. القاعة مملوءة لآخرها، كراسي وطاولات من خشب والمدرس واقف أمامهم، يقول بصوت غليظ: (رحبوا معي بالطالب الجديد: "العباس") انهالت علي التصفيقات الحارة، -يبدو أنهم نشطون جدا مع الصباح الباكر-.

كان الدرس في مادة اللغة العربية واستطرد المدرس يشرح قاعدة لغوية ونصف التلاميذ غير مركزين معه، يسأل ولا أحد يجيب:

-ماهي أقسام التشبيه؟

.....-

أردت الاجابة عليه ولكن نينيا قررت ذالك بعد ملل طويل.

انتهى الدرس وأغلق الطلاب كتيباتهم، فعلت المثل وما ان هممت بالوقوف حتى بادرني أحدهم بالتحية، شاب في العشرينات -لا أدري لماذا من في العشرين لازال في الثانوية- عينان زرقاوان وبنية قوية، بادلته التحية فأردف قائلا:

-أنت هو الطالب الجديد، سررت بمعرفتك، اسمي باسم.

نور اخر أضاء وسط الظلمة وأحاول التشبث فيه ولكن دون جدوى، مر علي هذا الاسم من قبل ولكن أين؟

-تشرفنا.

-هل أنت جديد على هذه المنطقة؟

-تستطيع قول ذالك، حتى أنني لا أعرف اسمي الحقيقي.

(مالذي جعلني أفصح له عن هذا؟ ربما زلة لسان)

-أوليس لديك عائلة؟ كيف وصلت الى هنا اذن؟

جذبتني "نينيا" من يدي قائلة له: "دع الفتى وشأنه فقد أتى معي."

أخبرته أننا سنلتقي فيما بعد، هذا كي لا يأخذ عني صورة سيئة.

ونحن نعود أدراجنا ونسير وسط المدينة قلت لنينيا: "هناك الكثير من الأطفال المشردين!"، لم تبد أي تفاعل حتى ظننت أنها تجاهلتني، تركت أسئلتي لوقت لاحق؛ لابد أنها تكره ذالك الفتى ولست أدري لِمَ. خرجنا من المدينة الآن ودخلنا المروج الخضراء، قريتنا هناك حيث الجبل، تحيط بها بعض الأشجار، وقطعان أبقار ترعى في المرج، رأسي آلمني قليلا فتوقفت عن السير لدقيقة، قالت نينيا: "هل تذكرت شيئا؟"، أشرت لها بيدي أن تنتظر، ليمر هذا الألم ثم سأجيب. ذهب الألم فتذكرت شيئا، "ألم تقولوا أنه لا يوجد جبل في هذه القرية!" نظرت أمامها وقالت باستغراب:

-من قال لك هذا؟

-والدك. قال إنكم وجدتموني فوق هضبة.

-لا، أظنه كان يمزح معك. وجدتك بنفسي، كنت بالقرب منه، ربما كنت تنوي تسلقه لتنتحر أو شيء من هذا القبيل.

-هذا ما لم أتذكره، كنت ذاهبا إلى الجبل ذاك، لِمَ؟ لا أدري، لكني متأكد أن أباك لم يكن يمزح، فلنواجهه بالأمر عند عودتنا.

-لا، لا أحبذ التواصل معه، هو ليس أبي الحقيقي ولا أمي.

-إذن ما حكايتك معهما؟

-قيل لي أنهما وجداني في المدينة فتبنياني، لا يهمني هذا ما دمت لم أرَ منهما حنان الأبوين.

-كيف يتبنى المرء طفلا هو ليس راضٍ عنه؟

-كانت لدينا جارة ولكنها توفيت منذ عشر سنوات، لديها أربع أبناء قلّما يأتون إلى هنا بسبب سفرهم للعمل. كان عمري 12 سنة وصادف أن عاد أحدهم من السفر حين كنت ألعب بجوار منزلهم، نظر إليّ قليلا ثم دخل. تعالت أصوات الفرح في منزلهم وكان حديثهم يسمع من الخارج.

-أنا: وما دخل هذا في سؤالي؟

-نينيا: أنت غير صبور! دعني أكمل لك الحكاية لتعرف.

-أنا: حسنا. قطعنا مسافة طويلة ولم أشعر، آسف، أكملي.

-نينيا: وأنا ألعب كنت أسمعهم بوضوح، الضحك والفرح والزغاريد. بعدما انتهى عناقهم وتهليلهم ببعضهم قال الابن مستغربا: (من هذه الطفلة الجميلة بجانب البيت؟ لا أذكر أني رأيتها من قبل!) فأجابته أمه:

[7])

-إنها إبنة جارنا "بافل".

[7] هنا يبدأ حواربين الجارة و ابنها

-ألم يكن هو وزوجته إحداهما عقيما!

-تلك الطفلة متبناة، بسبب شوقهم لطفل تبنوها.

-إذن فأصلها من المدينة.

-هذا ما قالته جارتنا ولكن.. (أخفضت صوتها قليلا) جارتنا تفضل الذكور على الإناث، كانت تتمنى طفلا ذكرا يعينها حين تكبر، ف"بافل" عائلتها الوحيدة. يوم أن نصحتها بالذهاب إلى المدينة كنت متأكدة أنها ستأتي بذكر ولكن أتت بأنثى! ثم بعد أيام وصلني خبر من إحدى صديقاتي أن رجالا أثرياء أخذوا كل الأطفال من المدينة ذكورهم وإناثهم.

[8])

صمتت نينيا قليلا ثم أكملت: "تلك كانت صدمة عمري، علمت حينها لِم يعاملانني بجفاء، كانا يريدان ذكرا، ونينيا أفسدت طموحهما". رددتُ عليها ب:

-نظرت إلى جانب وأهملت الجانب الآخر.

-لا يوجد جانب مشرق في الأمر، أنا دخيلة على هذه العائلة وسأبقى كذالك.

-أنت بالفعل نظرت إلى الجانب المشرق، وأهملت الجانب المظلم.

---

[8] انتهى حوار الجارة وابنها

-اووف، هي مظلمة فلا تزدها ظلمة، لا تقل شيئا أرجوك فرأسي تعب من الحديث معك.

وصلنا إلى المنزل وكثير من التساؤلات تدور في رأسي؛ الجبل الذي رأيته قد وصلت الآن ولم يعد موجودا! لو سألتها عنه مجددا فستنكر أنه موجود ربما، أو هي ستراه وأنا لا. هذا عن ذاك الجبل، ماذا عن الجبل الآخر الواقف في رأسي! قصتها التي حكتها لي بمثابة باب مقفول، مفتاحه هو جواب عن سؤال. الجانب المظلم الذي لم تسأل نفسها عنه، **أين وجدوها؟ وكيف قبلوا بتبنيها؟**

***

"لا تضربني أرجوك"

[9] من أين أتت هذه الطفلة؟ أعدت العصا إلى مكانها كي لا أخيفها، ضممتها إلى صدري لتحس بالأمان ثم سألتها: "أين أبوك؟" فقالت "لا أدري"، "من أتى بك إلى هنا؟" "لا أدري". ماذا الآن، طفلة ضائعة في القرية وأين؟ في بيتي! ماذا لو أتى بها أحد إلى هنا! من هذا الأحمق الذي يضع طفلة في منزل أحدهم، الآن لا أستطيع حتى البحث عن أهلها فالظلام قد حل، أخبرتها أنني سأعتني بها ريثما نجد حلا، جهزت لها مكانا لتنام فيه وأعددت الطعام

[9] والدة نينيا تكمل لكم

لنا. جهز الطعام فأكلنا سويا، كانت فتاة مؤدبة جدا ورغم هذا لازال في قلبي شيء تجاهها، ربما لأنها أنثى وأنا أردت ذكرا، من قال إنني سأتبناها أصلا، غدا سأجد أهلها وأعيدها لهم.

حل الصباح فرُحت أتفقد الطفلة تلك، هل استيقظت أم ليس بعد، كانت نائمة بجانبي فاستدرت لأراها فلم أجدها! نظرت باتجاه الباب فإذا هو مفتوح قليلا، قُمتُ فزعةً لربما تاهت مجددا. خرجت مسرعة من المنزل فرأيت زوجي قد عاد من سفره وتلك الطفلة بجانبه تلاحق الفراشات، لما رآني قال: "دخلت البيت فوجدتك نائمة وهي مستيقظة جالسة بجانبك لم تشأ إيقاظك فأخذتها لتلعب، هل قمت بتبنيها؟"؛ فكرت حينها لربما استأثرت بها لنفسي، لربما ربيتها أنا وتركت فكرة البحث عن أهلها، لا لا، فأجبته:

-وجدتها في البيت ولا أعرف من أين أتت.

-أمر محير، لا يوجد مشردون في القرية، والمدينة بعيدة من هنا ولن تستطيع طفلة في مثل سنها قطع كل تلك المسافة.

-حتى أنها لا تعرف شيئا، ما رأيك أن تذهبا معًا لوسط القرية فلربما رآها من يعرف عنها شيئا.

نظر لها زوجي بافل ثم قطف زهرة وأعطاها إياها وقال: "ما اسم أبيك؟"، رفعت يديها إلى السماء بمرح ثم أشارت للجبل وقالت: "أنا ابنة الجبل"، ضحك ثم عانقها فقلت له: "ليس هذا ما قالته بالأمس، أظنها ارتاحت لك"، حملها عاليا فضحكت فرحةً ثم أخذها واتجه صوب القرية، بعد ساعة عاد بها، ظننته لم يعرف شيئا حتى حكى لي ما جرى.

يحكي لكم بافل ما حصل معه:

(بينما أنا أسير في الشارع الرئيسي من القرية أسأل المارة واحدا تلو الآخر، إذ برز 3 رجال بزيٍّ فاخر وعطر تستشعره من على بعد أمتار. أدار الجميع رؤوسهم نحوهم ليروا حسن لباسهم، تماما مثلما اجتمع الناس حول قارون. تمتم الناس فيما بينهم وكنت أسمع بعض كلامهم، قال أحدهم: "إنهم نفس الرجال الذين أخذوا الأطفال المشردين من المدينة قبل أيام، لقد كنت هناك ورأيتهم"، لو كانوا حقا هم فمالذي يفعلونه هنا؟ يسيرون بخطى ثابتة ولا كأن الناس أوقفوا عملهم ويحدقون بهم، ما إن وصلوا لمكان يسمعهم منه الجميع قال ذاك الذي في الوسط: "هل رأى أحدكم طفلة صغيرة بعمر ال6 سنوات تقريبا؟". أصابتني قشعريرة من هول المفاجأة، لم أكن أتوقع أنها ابنة أحد الأثرياء. تغيرت نظرات الناس من الرجال لتنصب حولي، هذا جعلهم يعرفون إجابة سؤالهم، نظروا إليّ ثم قال أوسطهم: "فلنتحدث على انفراد"، كأن هذه الجملة حطمت جدار سد، ما إن سمعها

الناس حتى أكملوا أعمالهم وأشاحوا بأبصارهم عنا، لديهم قاعدة وهي أن كبرياء الرجل خصوصيته؛ ما داموا يريدونني على انفراد فلا دخل لهم.

ذهبت معهم إلى خارج القرية؛ هم أرادوا ذالك فتبعتهم، يتقدمونني ببضع أمتار وأنا خلفهم، سألت الطفلة: "هل تعرفين أحدا منهم؟"، أومأت برأسها أن نعم؛ ثم قالت: "الذي في الوسط هو من أحضرني"، وصلنا لناحية حيث لا يرانا ولا يسمعنا أحد، فاستداروا وقال الذي في الوسط:

-حسنا، هذه الطفلة هي ابنة أخي، وقد توفي في حادث انهيار جبلي هو وزوجته وقد حملت على عاتقي همّ تربيتها ولكن ازدادت مشاغلي مؤخرا وقررت الإبقاء عليها مع أحد الأغنياء لفترة كي تتعلم آداب الأغنياء وتحمل سمعة عائلتها، ولكنها هربت مني فرحت أجوب المناطق بحثا عنها.

-من مظهركم تبدون أجانب عن البلاد، فكيف ستهرب طفلة كل هذه المسافة؟

-صدقني حتى أنا لازلت مصدوما، ربما صعدت على متن إحدى العربات وأوصلتها إلى هنا.

-قال الناس قبل قليل إنكم أتيتم قبل أيام إلى المدينة وأخذتم جميع الأطفال المشردين! كيف تفسر هذا؟

-بالطبع ليس نحن، هناك الكثير من أغنياء البلدان الأخرى يلبسون نفس زينا.

نظرتُ إليها وقلت: "ستذهبين مع عمو"، تغيرت نظراتها وبدت عليها ملامح الخوف، أردت سؤالهم عن شيء ولكن بادر الرجل بالكلام قائلا:

-لم أكمل كلامي، نسيت أهم شيء كعادتي. سأتركها عندك لفترة إن لم تكن تمانع.

-لماذا؟ ألم تقطع كل هذه المسافة بحثا عنها؟

-ليس هذا بالضبط، أخبرتك أنني أريد تركها في كفالة رجل غني لفترة وقد علمت من بعض الناس أنك من عائلة غنية وأنك تدير منجما للذهب، ولكنك تعيش بتواضع لا يُرى معه أثر الغنى لهذا أنت الشخص المناسب لرعايتها.

-لماذا لا تعهد بها لأحد رفيقيك هذين؟

-لا يستطيعان للأسف، نفس الظروف التي جرتني لهذا هم فيها.

-حسنا، كم من الوقت ستبقيها لدي؟

-3 أشهر لا غير.

-لك ما تريد.

(

وهاهو "بافل" قد عاد إلى المنزل ويلاعب الفتاة الصغيرة، هو سعيد لأنه سيبقى معها 3 أشهر، لكن رأسه مملوء بالأسئلة المعلقة.

-زوجته: ما اسمها؟ هل قال لك الرجل اسمها؟

-بافل: نسيت أن أسأله، ما رأيك أن نسميها بإسم مؤقت؟ ريثما تنتهي المدة سيأتي لأخذها فنسأله عن اسمها.

-زوجته: طيب، ما رأيك ب "إبنة الجبل".

-بافل: تقصدين أول اسم نطقته، لا، سأسميها "نينيا" بمعنى "طفلة".

من شدة شغف زوجي "بافل" بها أهمل أعماله وصادف أن قلّ إنتاج المنجم وتكدست الديون فقرر إغلاقه. مرت 3 أشهر ولم يأت ذالك الرجل، ثم سنة ثم 5 سنوات حتى يئسنا من عودته، الطفلة أصبحت ابنتنا وقد كبرت على يدينا، لكن مع الأيام قلّ اهتمامنا بها، تعرفون الفرق بين أمانة غيرك وشيء يخصك، هي ملكنا الآن وفرد من عائلتنا فلا داعي للاهتمام الزائد إذن. اقترب الآن سنها من ال12 وأحست بتغير معاملتنا لها وقلة اهتمامنا بها، تلك الوردة باتت تذبل شيئا فشيئا.

***

[10] أتانا خبر من القرية بأن 3 رجال أثرياء يبحثون عن فتى مشوه الخلقة، كنت جالسا في الغرفة بمفردي حتى سمعت رجلا في الخارج يتحدث مع "بافل" وأخبره بهذا، على كل فذاك أمر لا يخصني، لا أعرفهم ويستحيل أن أكون من عائلة ثرية فلا شيء فيّ يدل على ذالك، كما أنني أريد حل لغز هذه القرية. انفتح باب الغرفة ليطل على "بافل"، رجل لا يحب كثرة الكلام، نظر إلي ثم قال:

-هناك رجال أثرياء يبحثون عنك في القرية، فلنذهب.

-لا أعرفهم، هل أبدو لك أني من عائلة ثرية!

-حتى نينيا لم تبدو كذالك.

-ما قصة نينيا؟ وهل حقا لستما أبواها الحقيقيين؟

-إذن فقد أخبرتك بذالك! حسنا، سأحكي لك بشرط أن نذهب إلى القرية لنقابل أؤلئك الرجال لعلك تعرف أحدهم.

أومأت برأسي موافقا فراح يسرد قصتها، من قرار تبنيهم لطفل وحتى إيجادهم لها وبحث عمها عنها ثم تركه لها عندهم. هذه القصة أجابت عن أسئلتي المتعلقة ب"نينيا" ووضعت أسئلة أخرى أكثر غموضا مكانها، لماذا بدا عليها الخوف حين رأت عمها؟ ولماذا أتى بحثا عنها رغم أنها قالت بأنه هو

---

[10] العباس يحكي

من أحضرها؟ إلا إن كانت تكذب وكلام عمها هو الصحيح، أو العكس، وكيف عرف أن "بافل" رجل غني يدير منجما مع أنه التقاه وقتها؟ إذن فعمها كان يكذب! هذا يزيد كمّ الأسئلة أكثر، وقبل كل شيء هل ذاك الرجل عمها حقا؟! طرحت كل أسئلتي هذه على "بافل" فقال ضاحكا: "ألم أقل لك أنك فتى ذكي، لن أجيبك، فأسئلتك يجب أن تبقى طي الكتمان، هيا لنذهب للقرية كما وعدتني". استدار كي أتبعه، فوقفت من مكاني وصرخت في وجهه: "ربما أنت لا تأبه ولكن أمر نينيا يهمني". تصلب في مكانه ثم قال: "لهذا لن أجيبك"، أردت الرد عليه ولكن باغتني أحدهم بضربة على رأسي، سقطت على الأرض ووعيي ينسال مني تدريجيا، أسمع بعض الكلام: "فلنضعه على العربة قبل أن تعود نينيا"، إذن فمن ضربني كانت الأم؛ دخلت في سبات طويل.

***

أنا نينيا أحكي لكم:

أرسلتني أمي لأملأ الماء، ومن عادتي أن أتأخر كثيرا، أظنكم تريدون معرفة السبب، حسنا، أذهب إلى الجبل أولا أتمشى بقربه، أحس براحة عجيبة بقربه، ألم يكن اسمي "ابنة الجبل"؟ لا أتذكر شيئا عن سن السادسة، ذكرياتي تبدأ من التاسعة فقط، دعوكم مني ومن ذاكرتي ولأكمل لكم، هناك قريتنا، وعلى بعد 100 متر شرقا هناك الهضبة التي حكى عنها

العباس، و500 متر غربا هناك جبل تحفه غابة ليست بالكبيرة، سيرًا على الأقدام وستقطعها من أولها لآخرها، في الجانب الآخر من الجبل لا أحد يعلم ما يوجد هناك، وبين الجبل والقرية هناك بئر نملأ منه الماء نحن الذين نسكن على الأطراف الغربية للقرية، وعلى بعد 2 كلم شمالا توجد المدينة، هذه هي الإحداثيات كي لا تتيهوا. المهم أنني بعد عودتي ذهبت مباشرة إلى غرفة العباس كي أعتذر منه بسبب الليلة الماضية، دخلتها فوجدت الباب القديم المطل على الخارج مفتوحا، لم نفتحه منذ سنوات، خرجت من المنزل واتجهت صوب القرية وفي منتصف الطريق وجدت أمي وأبي عائدين على العربة التي يجرها حصان -لدينا واحدة ولكن لا يستعملها سوى أبي وفي الحالات الطارئة فقط-، سألتهما مالأمر فأجابا أن "رجلا أتى يخبر أبي عن رجال أثرياء يبحثون عن فتى مشوه، سمع الفتى حديثهما وخرج من الباب القديم ورحل دون أن نشعر به، لحقنا به ولكنه قد رحل". شعرت بحزن شديد، ربما غضب بسبب صراخي عليه، كنت أريد إخباره أن غدا عيد ميلادي ال26، ولكن ما فائدة هذا الآن! سأحتفل بمفردي، لحظة! لماذا أتذكر يوم مولدي ولا أتذكر شيئا قبل سن ال9؟ من أخبرني به ووالداي الحقيقيين غير موجودين؟ هل عيد ميلادي غير حقيقي أيضا؟ ما هذه الأشياء التي تمر على عقلي الآن! لماذا يختل توازني؟ لماذا....

استيقظت على الفراش الذي كان ينام عليه العباس فوجدت أبواي بجانبي، قلت مستنكرة: "لماذا وضعتماني على فراشه؟"، قالا أن الغرفة غرفة

العباس ولكن الفراش فراشي، "أعتذر على قلقكما علي، كنت متعبة لا غير"، وقفت وغادرت المنزل بعد استئذانهما لاستنشاق بعض الهواء، ذاك السؤال كان سبب فقداني الوعي، لا، بل كان مفتاح قفل لطالما بحثت عنه:

ذاكرتي قبل سن التاسعة قد عادت.

***

[11] اهتزاز العربة جعلني أستيقظ من سباتي، يداي مربوطتان بحبل، رجلان بزي الأثرياء يقابلانني داخل العربة والثالث في المقدمة يقود الحصان. قال الرجل المقابل لي:

-الرجل: استيقظت أخيرا!

-أنا: كم بقيت نائما؟

-يوم كامل بالتقريب.

-كم ابتعدنا عن القرية؟

-بتنا الليلة الماضية في المدينة وقبل قليل خرجنا منها، تبدو هادئا جدا لتسأل هذه الأسئلة!

[11] العباس

-عندما أجد من يجيبني عن أسئلتي فلا يسعني سوى الهدوء ولو كنت في خطر.

-هيه وكأننا سنجيبك عن أسئلتك!

-أنا واثق من هذا؛ لأن مهمتكم هي إبعادي عن القرية لا غير.

-ولو! مالذي يدفعنا لإعطائك ما تريد؟

-القوة

(ضربة المرأة على رأسي أعادت لي ذاكرتي)، فككت رباط يدي ومباغتا إياهما بلكمات على الوجه ثم انقلب السحر على الساحر.

عدت لمكاني ألتقط أنفاسي ثم قلت للسائق: "أوقف العربة وإلا قتلت رفيقيك"، كان كل منهما يحمل سكينا فجردتهما منه، وأنا أضع السكين على رقبة من ظننته زعيمهم وقلت: "ما رأيك الآن؟ ستجيب على أسئلتي مرغما". تملكه الخوف والدهشة وبصوت مرتعب قال:

-كيف استطعت فعل هذا؟ أنت بالكاد في عمر طفلي.

-يسمونها المهارة، عندما فقدت ذاكرتي نسيت ما اسمي ومن أكون وماذا أعرف وما لا أعرفه.

-مالذي تغير؟ الطفل يبقى طفلا!

-إلا إذا تدرب سنة في مصر عند أشد الرجال صرامة، الآن انتهى وقت أسئلتك وحان وقت أسئلتي، أين أخذتم الأطفال المشردين قبل 20 سنة؟

-لسنا نحن، يوجد الكثير من الرجال الأغنياء مثلنا.

-لستُ "بافل" لتخدعني، حكى لي كل شيء من قبل، لماذا قبل يوم من مجيئ الأم الى المدينة يختفي جميع الأطفال؟ ثم هوب، تأتون بطفلة لمنزلها؟

-لسنا من أتى بالطفلة، إنها ابنة أخي وقد هربت.

-قلت لك أني لست "بافل"، كيف عرفت بافل بأنه من عائلة غنية ويدير منجما مع أنك التقيته حينها؟!

صمت الرجل كأنما بلع لسانه فأردفت قائلا:

-لا أدري لِمَ تخططون ولكني أحس أن مصيبة سوف تحدث إن لم تتكلموا.

-ما أدراك أنت! أنت جديد على البلاد ولا تعرف شيئا، أطلق سراحي فأنا أفعل كل هذا من أجل خطيبتي.

ما إن قال "خطيبتي" حتى تذكرت شيئا، رأيت هذا الوجه من قبل إلا أن علامات الكبر غيرت فيه قليلا، أعرف هذا الرجل جيدا، إذن فالأمر هكذا.. فككت رباطهما ثم رميت السكين على الأرض، صدمة نفسية أصابتني بعد أن علمت الحقيقة، الدموع تنهمر من عيني كالسيل، الرجال مندهشون ولا

يعلمون ما حصل، قال أوسطهم: "هل جننت؟ ماذا بك يا فتى؟"، تمالكت نفسي بالكاد وقلت: "اسمك ضياء[12] أليس كذلك؟". زاد اندهاشهم أكثر وقال:

-نعم، كيف عرفت اسمي؟

-وخطيبتك اسمها أسماء؟

جن جنون الرجل بعد أن ذكرت اسم خطيبته، حمل السكين وجذبني من ياقتي وهو يقول:

-كيف عرفت اسمها أيضاً؟

-أنت ضياء الذي كان يعمل نجارا وينتظر انتهاء الخدمة الوطنية كي يتزوج، أنت ضياء الذي يحب مساعدة الناس.

سقط السكين من يده دون أن يشعر فأكملت:

-أنت ضياء الذي مات في...

صرخ في وجهي قائلا:

-أنا لم أمت بل تم اختطافي وإجباري على فعل أشياء طلبت مني وألا أبوح بها، وسيساعدونني في المقابل.

---

[12] الضحية الخامسة (عد للجزء الثاني)

-لا، بل أنت ميت، لقد قتلوك ولم يتركوك ترتاح حتى بعد موتك.

-لو كنت ميتا فكيف أنا أتحدث معك؟

-كل هذا وهم يا ضياء، هذا اختبار وضعته لي **النار الحارقة** وأشركتكم فيه. لو كانوا سيساعدونك فلماذا لازلت تعمل لديهم منذ سنوات كثيرة؟

-الزمن هنا ليس مثله هناك، هكذا قال لي ذالك الشخص.

-كذبوا عليك.

-لا أصدقك، فلأقتلك هنا وأعد إلى منزلي.

-تذكر يا ضياء تذكر، مجموعة فلسفة مريض نفسي، صديقاك شاهين وساري.

تصلب في مكانه كأنه قد تذكر شيئا، فأكملت قائلا: "يجب أن تساعدني، هم قتلوك، ساعدني لأنتقم لك". ضحك من أعماق قلبه ثم قال: "يا لك من غبي، نزعت قيودنا ورميت السكين من يدك"، وبسرعة حمل السكين وحاول طعني به، ولكني راوغته في آخر لحظة، وبنفس الطريقة التي قتلت بها هشام[13] طعنته فأرديته قتيلا، نفس الموقف في "قالمة" سابقا ولكن هذه المرة أشعر بالحزن، كنت أنا سببا في موته من قبل؛ وهذه المرة قتلته بيدي.

---

[13] حكاية هشام وعبد الجليل في قالمة، ارجع للجزء الأول من الرواية

التفت إلى الرجلين الآخرين فوجدتهما قد اختفيا، أردت النزول من العربة فسمعت صوتا خفيفا، صوت رجل يحتضر، هذا ضياء لا يزال حيا. أسرعت إليه وقلت بندم:

-سامحني يا ضياء.

-في اللحظة التي طعنتني بها تذكرت كل شيء، لا تلم نفسك ففي كل الأحوال أنا مجرد ميت.

-ساعدني أرجوك.

-البوابة اقتربت على الفتح، لا يوجد شيء يمكنني مساعدتك به.

حملته من على الأرضية وأنزلته من العربة إلى الأرض ثم قلت:

-إذن سامحني.

-إلى أين ستذهب الآن.

-يجب أن أذهب وأنقذ نينيا.

-لن تلحق بها، لقد فات الأوان، هناك **اختبارات أخرى** ربما تنجح فيها.

-لم تعد المسألة مسألة اختبار، وإنما علي الذهاب لأجل شخص يهمني أمره.

-أنت حقا لم تتغير يالعباس. (ابتسم) الوادع.

ارتعش جسده كأن الروح خرجت منه ثم اختفى واختفت العربة، كانوا مجرد دمى في يدهم، لأجلهم لن أتوقف، لأجلهم سأنهي أمر جانب النجوم.

أنا الان بعيد عن المدينة ب500 متر، ثم 2كلم حتى أصل إلى القرية، يجب أن أسرع بأقصى ما لدي.

***

[14] تذكرت ما حصل معي من سن الرابعة فما فوق، إسمي نينيا تماما مثلما سموني -ربما هي مصادفة-، وأيضا كنت أسكن في منزل فخم قرب الجبل، انتظروا لحظة حتى أنظم أفكاري، حسنا الآن.. أنا طفلة بعمر أربع سنوات وذاك أبي الثري وتلك أمي. أمي امرأة لا تحب الكسل، في كل مرة أراها فيها أجدها تغزل الصوف أو تصنع الطعام أو تكنس أو...، لم تستغل ثراء أبي يوما، لو أتى يوم خسر فيه كل أمواله فلن يضرها هذا في شيء، أنتم تعرفون كيف تكون المرأة القوية، أمي امرأة منزل ببساطة.

ماذا عن أبي؟ كان رجلا ضحوكا جدا، لطيفا متواضعا رغم مكانته ولكنه كثير الانشغال، يعمل تحت أي ظرف، حتى لو أمطرت السماء حجارة لن يترك ما يجب عليه فعله، أحيانا يغيب عنا لأيام، لست أتذكر ماذا كان

[14] نينيا تكمل لكم

عمله ولكن أتذكر أن لدينا منزلا في وسط المدينة نذهب إليه مرة كل شهرين، هذا لأننا نحب العيش في الطبيعة وفي وسط العزلة.

كنت طفلة في عمر الأربع سنوات وأكثر من يحس بغياب الحنان هم الأطفال لهذا أقولها بكل ثقة: "لم يشعراني يوما بالنقص"، ذات يوم حملني أبي عاليا وقال: "أنت جوهرتي يا ابنة الجبل"، كان يقصد نفسه بالجبل وحُقّ له ذالك، كان جبلا، حتى اختفى هذا الجبل من حياتي.

منزلنا قرب جبل ضخم تحيطه بعض الأشجار، كنت ألعب بجوارها كثيرا وأنظر فوق فأرى الجبل فأضحك، كنت أسمع أحيانا صوت رجال من بعيد، ربما كانوا من الناحية الأخرى للجبل، الصوت يزداد مع مرور الشهور، رأيت على أبي علامات القلق لأول مرة، أمي كذالك لم تستطع إخفاء ذالك، كان قلقهما ناجما من مصدر الصوت، هما يعيشان هنا منذ سنوات وأصولهما تعود إلى المدينة ولا أحد يعلم بمكانهما، هربا من ضجيج الناس إلى هدوء الغابة ولكن الناس تبعوهم إلى هنا، ماذا سيفعلان الآن، هل سينتظران وصولهم إليهم وافتضاح أمرهم، حينها لا أحد يعرف ردة فعل السكان، هم يؤمنون أن شرف الرجل خصوصيته نعم، ولكن ليس رجلا مختبئا في الغابات لا يعرفه أحد.. الأيام تمر وهما لم يقرران ماذا سيفعلان، أتذكر أن أمي لطالما طلبت منه أن نرحل من هنا لكنه يقابلها بالرفض؛ هذا المكان دفن فيه أخي الأكبر؛ وتركه سيكون آخر حل يفكر فيه.

عندما أتى يوم ميلادي وبلغت السادسة قال لي أبي: "نينيا حبيبتي" ورفعني عاليا ثم قال: "أنت جوهرتي يا ابنة الجبل". هذه كانت عادته في كل عام أكمله، لكن هذه المرة لما وضعني على الأرض قال: "ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة"، ثم انطلق في اتجاه الجبل واختفى بين الأشجار. لم أُعر الأمر اهتماما حتى خرجت أمي من المنزل وسألتني: "أين ذهب أبوك؟" فأشرت لها أن في ذاك الإتجاه، فقالت: "يا إلهي، قلت له ألا يذهب"، الرعب سار في جسدها ويداها ترتجفان، وبصعوبة حملت الرمح الذي كان يقتل به أبي الحيوانات الضارية وقالت لي: "ادخلي إلى المنزل يا حبيبتي وابقي هادئة، لن أتأخر عنك"، ثم اتجهت حيث ذهب أبي، لم يأخذ معه رمحه هذه المرة لأنه ذهب نحو الرجال في الناحية الأخرى من الجبل ليعرفهم بنفسه؛ ذهب من أجل عائلته، ألم أقل لكم أني ابنة الجبل!

ذالك اليوم كان أظلم يوم في حياتي، جالسة في البيت وحدي أنتظرهما، ساعة ثم ساعتان ثم أربعة وست، ثم الظلام على وشك أن يحل؛ الآن اجتمع علي الخوف والجوع، ذالك الفانوس لم يشعله أحد؛ حل الليل فاشتعل من تلقاء نفسه، كنت أسمع أصوات الذئاب من بعيد، الباب مقفل ولن يقدروا على الدخول، هذه أول مرة يكون بيتنا مخيفا هكذا؛ جلست في الزاوية حاسرة رأسي بين ركبتي؛ ثم لم أدر متى غططت في نوم عميق لم أستيقظ منه إلا مع طلوع الشمس؛ الفانوس مطفأ الآن، ربما كنت أتخيل أشياء غير موجودة، عاد الجوع الآن ولست أدري ماذا سأفعل،

قررت بعدها الخروج من المنزل ثم إلى حقل الخضار قطفت منه بعض الطماطم، أكلت بدون شهية ثم عزمت على البحث عن والديّ، عمري ست سنوات فقط ولكني ابنة الجبل. ذهبت في ذات الاتجاه الذي مرّا فيه، ومع ثالث شجرة أتركها خلف ظهري ذهبت تلك الشجاعة، هذه أول مرة أتخطى المساحة التي عشت فيها بمفردي، أردت البكاء ولكن خوفي يمنعني من حيث هو السبب أصلا، أخاف أن تأتي تلك الذئاب لو سمعت صوتي. طأطأت رأسي وأنا أمشي كي لا تزيد تفاصيل الغابة رعبي، سرت مسافة طويلة حتى سمعت صوت تحرك الحشائش فاختبأت؛ بعد ثانية ظهر من خلفها ذئب عملاق، لو رآني سيقتلني بضربة من مخلبه، قلبي يدق بسرعة جنونية، الذئب يحوم في المكان وكأنه استشعر وجودي، أنا مختبئة بين الحشائش الآن وأراه يقترب مني، ما إن تبقى بيننا متر واحد حتى وثب عليّ، كانت لتكون نهايتي لولا ذاك السهم الذي اخترق قلبه، ثم سمعت رجلا يقول: "ماذا تفعل طفلة مثلك هنا؟". صمتتُ حينها ولم أنطق ببنت شفة فقال: "اتبعيني"، كنت أظنه سيبحث عن أهلي ولكنه كان يقطع الغابات دون أن يسألني عن شيء، ربما يأخذني لمنزله، لا يهم، المهم أن أبتعد عن الخطر.

قطعنا مسافة طويلة حتى خرجنا من الغابة، بعد كل هذا لازلت أرى الجبل قريبا جدا، ربما كنا نطوف حوله، أو ربما هذه هي الجهة الثانية من الجبل، مروج خضراء شاسعة، وعلى بعد 500 متر هناك قرية، أكملنا المسير باتجاهها، قبل أن نصل هناك بعض البيوت على أطرافها، وعند أقرب بيت

توقف الرجل وفتح الباب ثم قال: "ادخلي وانتظريني هنا، لن أتأخر". دخلت فأغلق الباب ببطء، هناك 3 غرف في هذا المنزل وباحة صغيرة، كرسي موضوع رحت أجلس عليه وأنتظر الرجل يعود، الغرف مضاءة بضوء الشمس، إن لم تخني الذاكرة فالوقت كان الظهيرة، انتظرت وانتظرت ولم يأت أحد، اقتربت الشمس على المغيب فاختبأت في إحدى تلك الغرف، جلست في الزاوية واضعة رأسي بين ركبتي، مضت ساعتان وأنا على تلك الحال، انتظار المجهول وخوف وقلق وجوع وإرهاق، حتى انفتح الباب كاشفا عن وجه إمرأة شابة. [15]

***

[16] قطعت مسافة طويلة حتى وصلت لمنزل بافل، ماذا أفعل؟ هل أدخل وأسألهما عن نينيا؟ أم أستخبر إن كانت موجودة في المنزل؟ استجمعت شجاعتي وبحثت عن عصا أو أي شيء يصلح كسلاح، وجدت قرب المنزل فأسا كان يقطع بها بافل الحطب، حملتها بقوة وبقوة دفعت الباب. المنزل فارغ، أين ذهبوا؟ خرجت من المنزل وكلّي حيرة، جلست على الأرض أنظم أفكاري، ذاكرتي عادت ويمكنني حل اللغز، حسنا لنبدأ:

---

[15] تقصد زوجة بافل

[16] أنا العباس

آخر ما حصل قبل فقداني لذاكرتي هو أن دخلت في ظلام لا نهاية له، ثم رأيت **"النار الحارقة"** تبتسم، وبعدها أنا على المرج ملقى فوق هضبة، حتى الآن لا يوجد طرف خيط. القرية مليئة بالتناقضات وفتاة أظنها مفتاح القصة، أنا الآن في اختبار ولا أدري مالمطلوب مني بعد، تذكرت شيئا! قالت الأم إن ابنتها تتأخر في جلب الماء ولا تدري أين تذهب، أين هو البئر؟ نظرت من حولي فرأيته، بعيد هناك، أرى حبلا ودلوا وصخورا مرصوصة، حسنا هذا هو البئر فأين كانت تذهب نينيا؟ لا يوجد شيء حوله، أقرب جماد له هو ذاك الجبل، جبل! عاد وظهر مجددا؟! كيف نسيت هذا! سأذهب نحوه بأقصى سرعة، حتى لو لم تكن نينيا هناك فلا شك أنه مفتاح اللغز. 500 متر قطعتها في دقائق معدودة، كنت أركض فلا تتعجبوا، ما إن وصلت إليه حتى اختفى مجددا، هذا الجبل لا يريدني، إنه يعدّني دخيلا، الغابة المحيطة به في مكانها ولكنه غير موجود، ماذا أفعل؟ رحت أصرخ بأعلى صوتي: "نينيا، نينيا" حتى قال أحدهم: "لا فائدة، لا أظنها ستسمعك"، نظرت باتجاه الصوت فوجدته "بافل وزوجته" قادمان نحوي، حملت أقرب حجر لي وأشرت إليهما أن يبقيا بعيدين عني، قال "بافل" :

-لا تنفعل، سأحكي لك الحقيقة كاملة.

-أين هي نينيا؟ ماذا فعلتما بها؟

-سأخبرك الحقيقة:

بافل يحكي:

في يوم من أيام عملنا في المنجم، عندما كانت أرباحنا كبيرة فالذهب كان موجودا بكثرة في ذالك الجبل، أنا مدير ذالك المنجم ومالكه وبالتالي فلا أذهب إليه إلا مرة كل شهر، وفي اليوم الذي ذهبت إليه قبل 20 سنة حصل مالم أتوقعه، دخلت المنجم كعادتي أتفقد أعمال التنقيب، الجميع يعمل بجد وكل واحد يعرف زميله حق المعرفة، وكيف لا وهم جميعا أبناء قريتنا، أعطيهم راتبا جيدا لذالك هم يحترمونني، 10 رجال ينقبون و10 آخرون ينقلون الحجارة إلى الخارج حيث هناك 20 رجلا يستخلصون الذهب من تلك الحجارة ثم 10 رجال آخرين قائمون على الحراسة وحماية العمال. بمجموع 50 رجلا فلا أقلق بشأن أي شيء. المهم هو لما دخلت المنجم وانشغلت مع العمال سمعنا صوت بارود، هذا يحدث أحيانا عندما يقتلون حيوانا بريا، ليس هذا ما أرعبنا ولكن صوت صراخ أحد رجال الحراسة؛ ترك الجميع عمله وتوجهوا نحوه، هاهو يقف في مكانه مرتعبا، "ماذا بك؟" قالها له أحدهم فأشار له بيده إلى ما يوجد بين الحشائش، اقتربنا جميعا لنرى وكنت أنا في المقدمة، أزحت الشجيرات بيدي وإذ بجثة رجل ممدة هناك، رجل لم أره في حياتي، قطعا ليس من سكان القرية، عمدت للرجل أسأله:

-كيف حدث هذا؟

-الرجل: سمعت خشخشة بين الشجيرات ظننته ذئبا فأطلقت عليه النار.

نظرت للعمال قائلا بصرامة: "لا تخبروا أحدا بما حدث هنا، إدفنوه بعيدا"

بعد يوم من تلك الحادثة عدت إلى المنزل فوجدت طفلة صغيرة نائمة بجانب زوجتي، فتاة مثل القمر أنستني ما حدث. بعد أن انقضت 3 أشهر التي أعطاها لي عمها كمهلة كانت الأعمال في المنجم قد توقفت منذ شهرين، ليس بسبب الديون وإنما **لسبب آخر**، المهم أننا أغلقنا المنجم مؤقتا. بعد شهر من قرارنا ذاك اختفى الجبل الذي كنا نحفر فيه، نعم اختفى، قد يبدو الأمر صعب التصديق ولكن هذا ما حدث، اختفى الجبل واختفى المنجم، ركضت كالمجنون أزور الرجال الذين كانوا يعملون لدي أسألهم هل يرون ما أراه أم أنني أتخيل، أجابوا كلهم بالتعجب: ("عن أي جبل ومنجم تتحدث؟" "لو افتتحت منجما فلا تنسى أن توظفني هههه" "حتى أنا أحلم أن لدي سفينة كبيرة مملوءة بحوريات البحر")، إما أنني أحلم أو أن الجميع قد جن، أو أنه مقلب كبير منهم.

شهر كامل وأنا أزور الغابة تلك لعلي أجد الجبل أو المنجم أو أي أثر لهما ولكن بلا فائدة، الوحيد الذي لاحظ هذا هي زوجتي، تعلم أن هناك جبلا قد اختفى.

في نهاية الشهر كانت مهلة ال3 أشهر انتهت، ذهبت للمدينة ومعي الطفلة لأعيدها إلى عمها، انتظرته في مكان اللقاء ولكنه لم يأت، تركت له رسالة أن

يأتي إلى منزلي ولكنه لم يأت، مرت أيام وأسابيع وشهور وسنوات خمسٌ. المنجم لم يعد موجودا وأصبحت أعيش بالمال الذي أدخره، لدي ثروة لا بأس بها، عندما مضت 5 سنوات وعمر الطفلة الآن 11 سنة أتاني رجل يخبرني أن 3 أغنياء يجوبون المدينة الآن، صعدت العربة حاملا معي الطفلة متجها حيث قال الرجل. بعد أن وصلت ركنتها بجانب الطريق، وعند استدارتي لنينيا وجدت الرجال واقفين بجانبنا، قلت لهم متعجبا:

-أهلا، متى أتيتم؟

-منذ الصباح، كنا مشغولين ولم نستطع القدوم إليك.

-مشغولون ل5 سنوات؟

-لهذا عهدت الطفلة عندك أصلا، أنت لا تعرف حجم مشاغلي.

-والآن، لماذا لم تأت إلى القرية وجعلتنا نقطع كل تلك المسافة؟

-لم آت إليك ولا لأجل الطفلة، أنت من أتيت إلي فأردت أن أخبرك بشيء.

أشار إلي أن آتي معه بمفردي فتركت الفتاة مع الرجلين رفيقيه، ثم ابتعدت معه لمكان لا يسمعنا فيه أحد، فقال بعد أن تغيرت ملامحه وطريقة كلامه:

-انتهى وقت التمثيل، أنا لست عمها.

-ك.. كيف هذا؟ أنت تمزح!

-في اليوم الذي وجدتها أنت فيه في بيتك كنت أنا من أحضرها من إلى هناك، وجدتها في الغابة وذئب يريد البطش بها.

-ألم تقل أنك أجنبي عن البلاد؟

-كنت أكذب عليك، أنا من سكان هذه البلدة ولكن نادرا ما آتي لقريتكم.

-ماذا الآن؟ مادمت لست وصيا عليها فسأتركها عندي.

-بالطبع، هذا ما أريده منك، ولكن بفارق بسيط. وهو عندما تبلغ نينيا سن ال26 سترحل عنك.

-كيف عرفت الاسم الذي أطلقته عليها؟

-ذاك اسمها الحقيقي أصلا، هي فتاة تربت قرب الجبل المجاور لكم وأبوها ذاك الرجل الذي قتلتموه خطأً.

استعرت غاضبا، فأردف هو قائلا:

-وأمها قد وجدتها جثة نهشتها الذئاب، ياللمسكينة، خرجت تبحث عن زوجها فشاركته نفس المصير.

-كيف تعرف كل هذا؟ من تكون بالضبط؟

-لا تسأل كثيرا، أنت الآن مصدوم مما قلته لك، ومصدوم من اختفاء الجبل والمنجم معه.

لم أعد أميّز هل هذا الرجل أعدو أم صديق، هل يريد استغلالي أم لديه حل لمشكلتي! وبينما أنا صامت مشغول بالتفكير قاطعني قائلا:

-لدي حل سيسعدك، بعد 15 سنة من الآن وحينما تختم نينيا ال26 أرسلها إلى الغابة وسيعود لك المنجم ويستعيد عمالك ذاكرتهم ويختفي السبب الذي جعلك توقف المنجم.

-سأنتظر 15 سنة كاملة! هذا كثير.

-رغبة الجبل لا يمكن تخطيها، كما صدّقت أنه اختفى فعليك تصديق هذا والخضوع له.

عدت للمنزل ومعي "نينيا" ورأسي ممتلأ بالمعلومات، كيف سأنظر إلى وجهها بعد أن كنت السبب في موت والديها! لم أشأ إخبار زوجتي بأي شيء، وها أنا قد قصصت عليك الحكاية كاملة.

)[17]

الصدمة جعلتني أسقط الحجر من يدي دون أن أشعر. أنظم أفكاري الآن وأرتبها وأضع النقاط على الحروف، نينيا ابنة الجبل؛ قتل العمال أباها وعندما ذهبت أمها للبحث عنه هاجمتها الذئاب، ثم الرجل الذي أخذ نينيا

[17] انتهى كلام بافل هنا وبعده أكمل أنا

لبيت "بافل" هو نفسه ضياء، وتوقف المنجم ثم اختفاء الجبل، وهاهي نينيا تبلغ ال26 الآن وقد اختفت، قطبت جبيني صارخا على بافل:

-هل أرسلتماها إلى الغابة كما اتفقت مع الرجل؟

-لا أبدا، بعد سنوات من لقائي معه قررت أن أنسى أمر المنجم، فنينيا أهم عندي منه.

-ولماذا أفقدتماني الوعي وأرسلتماني مع الرجل ذاك إذن؟

عم الصمت المكان فأردت التكلم ولكنه سبقني قائلا:

-لأنك رأيت الجبل مثلما رأته نينيا.

-ومالذي يفرق؟ ألم تفكر أنني قد أكون حلا لمشكلتك؟

-قبل 15 سنة قال لي ذالك الرجل أن أتخلص من كل شخص يرى الجبل لأنه سيعيق الاتفاق، وقبل مدة يسيرة لاقيته في المدينة[18] وطلب مني إحضارك إليه.

-تبا. لازلت تريد استعادة المنجم، اذن فقد كنت تكذب قبل قليل.

-أريد أن أعود ثريا كما كنت ولا أريد التضحية بنينيا، كنتُ ولازلتُ مشوشا.

[18] عد لأول حوار للعباس مع بافل فقد قال له في الأخير أنه سيذهب للقاء أحدهم

كلما أظن أني قد فهمت بافل يخرج لي بأمر جديد، ثم تذكرت سؤالا أخيرا:

-وما الشيء الذي جعلك توقف المنجم في الماضي؟

-وصلنا لطريق مسدود، وجدنا بابا ضخما صلبا أمامنا فبقينا حائرين، لم نستطع تحطيمه ولم نعرف كيف لباب أن يظهر داخل جبل.

ما إن سمعت جوابه هذا حتى أطلقت العنان لقدميّ مسرعا داخل الغابة وأنا أسمع صوت بافل وزوجته يقولان: "أرجوك أعد نينيا سالمة"، الغبيان، لا، بل جميعنا أغبياء، بوابة **جانب النجوم** داخل الجبل ونينيا ذاهبة لتكون قربانا دون أن تشعر.

***

[19]بعد أن استعدت ذاكرتي من أيام الطفولة ذهبت إلى الجبل وهدفي واضح مرسوم في عقلي وهو: "البحث عن منزلي الذي كنت أعيش فيه"، قطعت المسافة من منزل بافل إلى البئر ثم من البئر إلى الغابة، دخلت بين الأشجار حتى وصلت إلى الجبل فرُحت أسير بجانبه، كنا نعيش في الجهة المعاكسة لذالك سأقطع مسافة كلم واحد لأصل لها. بعد ربع ساعة من تخطي الصخور والأشواك وجدت ساحة صغيرة وفيها بيت من خشب مهترئ، دخلت إليه فراودتني قشعريرة تنبئ عن قِدَمِ ذالك البيت. تلك ألعابي هناك،

نينيا تحكي [19]

وتلك أغراض أمي وأبي، وذاك المكان الذي بِتُّ فيه الليلة الأخيرة، في هذه اللحظة اختلطت مشاعري بين الخوف القديم والحنين والحزن فانسالت دموعي دون سابق إنذار. تمالكت نفسي وخرجت من البيت أنظر حوله، في كل مكان هنا لدي ذكرى تفيض بحنان والديّ، مرّت 20 سنة منذ آخر مرة رأيت فيها هذا المكان. سأذهب من حيث ذهبا وأنظر ماذا سأجد، دخلت بين الأشجار مثلما فعلا وتتبعت الطريق حتى وجدت جمجمة على الأرض، جمجمة إنسان مكسورة قرب العينين، لا توجد عظام بقربها؛ أظنها تعود لأمي، إذن فهي لم تبتعد كثيرا ذالك اليوم، كيف لم أرها عندما خرجت للبحث عنها! ربما سلكت طريقا أخرى. حملت الجمجمة في ردائي وأكملت السير حتى وصلت للجانب الآخر حيث أنا معتادة أن أجلس -هنا حيث وجدت العباس مغمى عليه وكان ينزف-؛ منزلي كان خلف ظهري في الجهة المقابلة من الجبل، لهذا كنت دائما أشعر بالحنين. لم أجد أي أثر لأبي في طريقي، قطعت مسافة طويلة وقد تعبت، جلست أرتاح حيث أنا معتادة فلمحت مدخلا كبيرا لم أعتد على رؤيته، مدخل جديد لم يكن موجودا، ذهبت باتجاهه فوجدت معدات كثيرة مرمية على الأرض هنا وهناك، فؤوس ومعاول ومطارق كلها قد بلغ منها الصدء مبلغا عظيما، هنا استنتجت أنه ربما المنجم الذي كان يديره بافل، لا سبب يدعوني للإقتراب كثيرا، لا أحب الأماكن المهجورة، سأعود إلى المنزل الآن، ما إن استدرت حتى سمعت صوت والدي الذي لم أسمعه منذ طفولتي يقول: "نينيا حبيبتي، أنت ابنة الجبل"

نظرت باتجاه الصوت فإذ بي أرى أبي قرب ذالك الحجر وقد كبِر سنه وشابت لحيته، فأضاف: "يا ابنتي تعالي إلى منزلنا الجديد، أحضري معك أمك"، وقفت في مكاني حائرة، هل هذا جن أم مجرد هلوسة أصابتني أم أنه أبي الحقيقي! في هذه الأثناء هطل مطر غزير فجأة، رغم أن السماء كانت صافية، فقال: "هيا ادخلي قبل أن تبتلّي"، هنا استجبت لندائه ودخلت معه الكهف ذاك، هناك آثار للذهب على طرفي النفق وشموع مضاءة، التفت يمنه ويسرة متعجبة من جمال انعكاس ضوء الشموع على أحجار الذهب، ثم نظرت أمامي لأبي الذي كان يتقدمني فلم أجد أحدا، أنا الآن بمفردي داخل هذا الكهف، سأخرج وأعود إلى القرية كي أخبر بافل، لكن سآخذ معي حجرا من هذه الأحجار كي يصدقني، وضعت الجمجمة على الأرض ثم هممت بنزع أحدها بيدي العاريتين لكني لم أستطع فخرجت أحضر أحد تلك المعاول؛ بينما أنا ذاهبة للخارج سمعت صوت أبي يقول:

-إلى أين أنت ذاهبة؟ ستبتلين.

-لن أتأخر سأحضر معولا وآتي.

-ماذا ستفعلين بالمعول؟

-أنزع به حجرا لآخذه لبافل.

-من بافل هذا؟ أنا أبوك؛ هل ستتركينني وترحلين؟

-بالطبع لا، أنا مشوشة قليلا يا أبي.

عدت إليه وعانقته تعويضا عن 20 سنة لم أره فيها، هذا أبي لا ريب، حضنه الدافئ لا يمكن نسيانه، لم أستطع إمساك دموعي كأن قلبي الآن فقط اطمأن لوجوده، قال لي:

-ابقي هنا وسأذهب أحضر طعاما لنأكله.

-هل سترحل مثل المرة الماضية؟

-لا؛ لن يفرقنا شيء بعد الآن.

أردت إعطاءه جمجمة أمي ليدفنها ولكني نسيت ذالك، بعد دقائق عاد ومعه سلة فيها أنواع من الفواكه، جلس بجانبي وراح يسألني عن حالي وأنا أجيبه، ثم أخبرته: "هذه الجمجمة تعود لأمي ويجب علينا دفنها"، قال بنبرة حزن: "عندما يتوقف المطر سندفنها في مكان لائق"، أردت سؤاله بعدها عن أشياء كثيرة ولكن صوتا قاطع حديثنا، صوت أعرفه؛ إنه العباس ينادي صارخا: "نينيااا.. نينيااا"، قمت من مكاني أريد الذهاب إليه ولكن أبي أمسك بيدي قائلا: "ابقي بجانبي"، فكرت قليلا ثم صرختُ: "العباس، أنا هنا تعال"، أتمنى أنه سمع صوتي لأني لازلت مدينةً له باعتذار.

***

[20] نينيا تتجه إلى بوابة النجوم، هذه هي بوابة العذراء، أول بوابة انفتحت من بوابات جانب النجوم الثمانية. القصة نفسها التي حكتها لي شيماء عن فتاة رومانية دخلت كهف البوابة فجرحت هناك. شرط انفتاح البوابة هو سقوط دم بقربها، بشرط أن يكون دما موافقا لإسمها. حينها يتحول المصاب لقربان وتنفتح البوابة، هذا أمر مخيف.

انطلقت أشق الغابة، لم أصادف أي ذئب أمامي! هل أنا على الطريق الصحيح؟ بعد مدة وجدت نفسي في ساحة كبيرة جدا خالية من الأشجار، قطعًا هذا هو مكان الجبل المختفي، تبقّى فقط أن يظهر، ماذا سأفعل الآن! هل سأنتظر ظهوره! لا ضمان لذالك. صرخت بأعلى صوتي: "نينيا!!.. نينيا!!" ولم أسمع ردا، نظرت باتجاه الغابة فوجدت جمجمة مرمية هناك وبعض العظام المبعثرة، إنها لوالد نينيا بلا شك، اتجهت صوبها ولملمت العظام ثم حفرت بيدي حفرة ودفنتها فيها ثم وضعت حجرا كشاهد على القبر، هذا هو حقه عليّ وقد أديته، نظرت خلفي فوجدت الجبل قد عاد! وأمامي مباشرة المنجم الذي يعود لبافل، ربما كان هناك صلة ما بين الجبل وأب نينيا، ربما لأنها ابنة الجبل.

دخلت مسرعا إلى المغارة فوجدت نينيا جالسة وبجانبها "جنّيّ"، ألم تكن الجن تحاول منع فتح البوابات كما قالت لي شيماء؟ فلماذا هو هنا؟

---

[20] أنا العباس أحكي

صرخت في نينيام قائلا: "فلنخرج من هنا" قالت بامتعاض: "ألا ترى أنني جالسة بجانب أبي! تعال واجلس معنا"، ليس لدي خيار آخر لاخراجها من هنا دون أن تسقط منها قطرة دم واحدة لذا سأجازف، جلست بجانبها فقالت:

-أردت الاعتذار منك عما بدر مني من قبل ولكن قالت لي أمي (زوجة بافل) أنك رحلت.

-رأيت أن رحيلي دون توديعك سأندم عليه بقية حياتي فعُدت.

-لا عليك، سأعرفك الآن بأبي الحقيقي، أبي، هذا العباس صديق لي.

نظرت إليه فوجدته يحدق في بعينيه قائلا: "ستفتح البوابة ولن تستطيع منع ذالك"، أثارت هذه الجملة غضبي فقلت لنينيا:

-هذه الجمجمة بجانبك تعود لمن؟

-إنها لأمي، سندفنها عندما تتوقف المطر.

-هل كان والدك ليترك زوجته دون دفن حتى وإن هطلت أمطار العالم كلها؟!

-بالطبع لا

هنا تأكدتْ أن هذا ليس والدها فقلت: "هيا لنخرج من هنا وسأخبرك بكل شيء عند خروجنا"، استجابت إليّ ووضعتْ يدها في يدي حاملة الجمجمة

بيدها الأخرى في ردائها وسرنا نحو المخرج، الأشباح تظهر وتختفي، بافل وزوجته، أصدقاؤها في المدرسة وأمها، كانت تلتفت لهم وأنا أجذبها إلي وأقول: "مجرد وهم". الضوء في آخر النفق يقترب وها نحن ذا خرجنا للغابة من حيث دخلنا، أظنني نجحت الآن، أنقذت ابنة الجبل، ولكن هناك شيء في داخلي يقول لي أن ليس بعد، صحيح! عندما دخلت المنجم لم أرَ البوابة هناك! هل كان ذالك تمويها من ذالك الجني؟ هل يمكن للبوابة أن تتحرك من مكانها؟ تهدّم المنجم ما إن خرجنا منه وانغلق إلى الأبد، قالت لي نينيا:

-مالذي كنت تود إخباري به؟

-أبوك قد مات منذ زمن، قتله رجال بافل خطأ، ظنوه حيوانا بريا يختبئ بين الشجيرات.

-وبماذا تفسر ما رأيناه في الكهف؟

-مجرد أوهام بثها هذا الجبل أمام ناظريك.

-لم أتمالك نفسي حين رأيت أبي، تمنيت لو أن ذاك كان حقيقيا.

صمتَت قليلا تفكر وعلى ملامحها الحزن ثم أردفت:

-هلا تساعدني في إيجاد أثر له؟

-لقد وجدت ما تبقى منه وقمت بدفنه.

هنا تذكرت شيئا خطيرا وياليتني لم أتذكره، قال بافل أنه أمر الرجال بدفن الجثة؛ إذن فالعظام التي وجدتها تعود لمن؟ بينما أنا غارق في التفكير كانت نينيا تتجه نحو الشاهد الذي وضعته على الحفرة التي دفنت فيها العظام وهي تقول: "لابد أنك دفنته هنا! سندفن جمجمة أمي بجانبه" وفي طريقها وطأت على حجر حادّ سبب لها جرحا، سقطت قطرات من دمها على الأرض؛ خرجت وحوش من مكان الحفرة تلك، وحوش ذات طابع واحد من فئة أنوبيس، ذاك الذي قتل ضياء، تابوت برأس فرعوني مطلي بالأصفر الذهبي والأسود، كل شيء فيه ثابت إلا عينيه ءادميتين لحد بعيد، 15 وحشا من هذه الفئة، رغم أنهم توابيت خشبية ولكن سرعتهم جنونية، خصوصا عندما طاروا في جميع الاتجاهات، 14 واحدا اختفى وتبقّى واحد، لا أدري أين ذهبوا -هذا لا يبشر بالخير-؛ وحوش تجعلك ترتعب ولو كنت أشد الرجال، نينيا هناك متصلبة من الرعب، أظنها تراه الآن، يا إلهي! لا يستطيع رؤية الوحوش إلا الضحايا أو القولدن. "نينيا اهربي" صرخت فيها ولكن الوحش رد علي قائلا بدون أن يتحرك فيه شيء، وبصوت قادم من أعماق الجحيم: "فات الأوان". انطلق شعاع أحمر من عينيه فانكمش جسدها ككيس بلاستيكي وُضِع فوق نار. أقولها لكم بملء فمي: "ذابت نينيا أمام عيني ولم يتبق سوى ملابسها، تلك الفتاة البريئة والجميلة، ابنة الجبل اختفت من الوجود!" "كيف هذا؟ ألم أبعدها عن البوابة؟ لقد أنقذتُها". اختلط صوت صراخي مع بكائي، انهرت على الأرض، لم تعد قدماي

تحملانني، ضحك التابوت قائلا: "هيه لقد أخذتها لهلاكها، أشكرك على مساعدتنا".

اختفت كل الموجودات من حولي وأظلم كل شيء، ظلام إلى ما لا نهاية، وسط الظلام ظهرت **النار الحارقة**، نار تضحك ولها ملامح كالبشر، لقد خسرتُ في الاختبار فمالذي سيحصل الآن؟ هل تعرفون شعور أن تكون متعبا ثم تنام وعندما تستيقظ لا تدري متى ولا كيف نمت؟ ذالك ما حصل الآن، آخر شيء أتذكره هو ظلام ونار، والآن أنا في مكان أعرفه، أعرفه أكثر من نفسي.

الفصل الثاني:

أعداء أصدقاء

"طو.. طو.. طووو" صوت هاتف يرن أيقظني لأجد نفسي على سريري وفي غرفتي، ذالك حاسوبي هناك والخزانة، والنافذة وإطلالتها على الشارع، كل هذا أعرفه جدا، أشعة الشمس تداعب الموجودات، الوقت قد تأخر وأنا نائم، المدرسة ستغلق، سمعت أمي تصرخ علي: "انهض فقد تأخرت"، ذهبت مسرعا وغسلت فمي ويديّ، وبعد أن ملأت معدتي ركضت مسرعا صوب المدرسة، كان حلما سيئا على ما أعتقد؛ سأصل متأخرا كالعادة وأطلب من الحارس الانتظار لدقيقة، دخلت مع آخر لحظة وإذ بالساحة فارغة، كل التلاميذ دخلوا أقسامهم، التحقت مسرعا بقسمي واعتذرت من الأستاذ ثم جلست. هذه متوسطة ولازلت في الرابعة، في حلمي كنت فتى خارقا وانتقلت مباشرة للثانوية هيه، تبا للأحلام. بعد أن انتهت الحصة أتى هؤلاء الأطفال إليّ، كالعادة هم يتنمرون علي ويضربونني كلما خرج الأستاذ؛ ليتني كنت قويا لأدافع عن نفسي، أو شجاعا لأرد على الأقل، أحيانا أسلك طرقا مختصرة لأصل للمنزل دون أن يروني، لكن هذه المرة قد اكتشفوها وقطعوا الطريق علي، هذا الموقف رأيته ولا أدري أين، هذه الظاهرة تتكرر عند الجميع، هاهم الآن اجتمعوا حولي ويدورون، يقولون: "يا مشوه، يا مشوه" ويضربونني على رأسي، إهانة وألم، أحس بضرباتهم كأنها مطارق، لم يوقفهم إلا صوت فتاة صرخت من بعيد "اتركوه وشأنه"، توقفوا لثانية ثم واصلوا ما كانوا يفعلونه ويضحكون، لن توقفهم فتاة بالطبع، الضربات تزداد ألما ولا يمكنني فعل شيء، هم جماعة وأنا واحد، وضعت يديّ على رأسي

وانكمشت في الأرض مغمضا عيني، لهذا لم أدر ما حصل، توقف ضربهم فجأة دون سابق إنذار، فتحت عيني لأراهم وقد غطت الدماء أجسادهم، اخترقت رصاصات أجسادهم فأردتهم قتلى، نظرت يمنة ويسرة فلم أجد أحدا، ركضت مسرعا إلى بيتي والدماء تلطخ بعضا من جسدي، مسحت تلك البقع بالتراب وما إن وصلت إلى منزلي فتحت الباب ببطء وتسللت إلى الحمام أنظف نفسي، ثم إلى غرفتي أرتاح فيها قليلا. غططت في نوم عميق أيقظني منه رنين هاتف "طوو طوو"، وجدت الشمس قد غربت قبل قليل، وقت المغرب إذن! أظنني نمت 4 ساعات، خرجت للشارع أستنشق بعض الهواء فسمعت جلبة ليست بالبعيدة، ذهبت نحو الصوت مسافة 70 مترا لا غير، كمٌّ هائل من الناس مجتمعون على مكان الحادثة، شققت الجمع لأرى مكانا على الأرض غيرت الدماء لونه، هنا حيث قتل الأطفال، لست متأكدا كم كان عددهم، ربما 6 أو 7، سمعت الرجال يتحدثون عن احتمالية وجود الإرهاب في المدينة، بينما أنا أتمعن المكان جذبني أحدهم من ظهري قائلا: "ماذا تفعل هنا؟ كنا نبحث عنك" هذا أخي الذي تعرفونه؛ ليس رئيسا للاستخبارات فذاك كان مجرد حلم، عدنا للمنزل وأمي عند الباب تقول لأخي: "قلت لك أنه لم يبتعد ففراشه لازال دافئا"، قال: "وجدته في مكان الحادثة"، نظرت أمي إلي وقالت:

-ماذا كنت تفعله هناك؟

-خرجت أستنشق بعض الهواء.

-هيا فلتدخل فالشارع أصبح مشبوها فيه.

ما حصل بث الرعب في قلوب الجميع، ربما هم إرهاب حقا ولو لم أكن منكمشا على الأرض لكنت ميتا الآن. عندما صعدت لغرفتي رحتُ أفكر في ما حصل، هل سأذهب غدا إلى المدرسة؟ هل الشوارع آمنة؟ ثم تذكرت حلم البارحة، كيف يكون حلما طويلا هكذا؟ كل تلك التفاصيل أتذكرها، الآن تذكرت أين رأيت أطفالا يضربونني على رأسي، كان هذا في الحلم، المهم أنني بعد ملل من التفكير فتحت حاسوبي، ثم إلى متصفحpale moon ، دخلت إلى الصفحة النشطة، صفحة الفيسبوك التي لا أدخل إلى غيرها، هناك مجموعة فلسفة مريض نفسي والأعضاء كلهم موجودون، هبه لابد أني من شدة حبي لهذه المجموعة حلمت ذالك الحلم، وضعت لهم منشورا أقول فيه: "حلمت أنكم قد متم جميعا" فأتت التعليقات المضحكة من هواري وشاهين وباسم، قرأتها كلها ثم رددت عليها وأغلقت الحاسوب، أردت النوم لكن الأرق سيطر عليّ، لا، بل لأنني نمت أربع ساعات عند العصر؛ أتقلب من هنا وهناك على سريري بلا فائدة، ثم خطرت على بالي فكرة وهي أن أكتب، سأكتب ذالك الحلم من أوله لآخره، عكفت عليه أربع ساعات بلا ملل، قرابة السبعين ورقة ملأتها بالكتابة، ثم قلت لنفسي: "لماذا لا أنشرها كرواية؟" سأسميها "رواية فلسفة مريض نفسي"، أعجبتني الفكرة

وسأطبقها فيما بعد، الآن وقت النوم فقد تعبت من الكتابة، تمددت على سريري فرحت في عالم الأحلام دون أن أشعر. حلمت بأن شخصيات الحلم السابق كلها أتت أمام عيني، كل واحدة ترحب بي وتعرف بنفسها ثم تختفي، كل الشخصيات؛ حتى تلك التي أعرفها ولم أرها؛ كالضحايا الخمسة عشر ويحيى القولدن الثاني وعادل وآخرون، رأيتهم واحدا واحدا؛ لم أستطع التكلم في الحلم لأن شيئا ما كان يغلق فمي ولم أدر ما هو، هذا كان يزعجني جدا وجعلني أرتعب، "طوو طوو" صوت الهاتف أيقظني مجددا، أسمعه لمدة 3 ثوان بعد أن أستيقظ ثم يختفي وأنسى أمره، لكن هذه المرة تذكرته وما إن فتحت عيني حتى تتبعت مصدر الصوت قبل أن يصمت؛ وجدته هاتفا موضوعا في الخزانة، نظرت إليه لأرى من المتصل فلم أجد شيئا؛ كيف يرن هاتف من لا شيء! نزلت السلالم حاملا إياه لأسأل أمي عنه، لما رأته بين يدي قالت:

-هاتف أخي! أين وجدته؟

-كان في الخزانة وأيقظني من نومي للمرة الثالثة.

-من كان المتصل؟

-لا أحد، نظرت داخله فلم أجد أية مكالمة.

استغربت أمي من ذالك وقالت: "لا بأس، كان يبحث عنه منذ أسبوع، سأعيده له الآن"، تلحفت بإزارها وهي تهم بالخروج فطلبت منها القدوم معها، أريد رؤية ابنة خالي. وصلنا منزل خالي وقد كان جالسا قربه يتمعن في الشارع كعادة الكبار، لما رأى أمي رحب بها وأدخلنا لمنزله، زوجته "لبنى" حية على عكس ذالك الحلم المشؤوم، وابنتهما زهرة تكبرني بعام، سلمت على زوجة خالي وأشرت لزهرة بتحية ولم ترد؛ ذهبت لغرفتها وأقفلت الباب، هكذا هي أصلا على عكس ذالك الحلم الجميل. بعد أن أعادت له أمي هاتفه سألته عن سر المكالمة فقال: "هذه عادة فيه، ربما هو عطل داخلي"، بالطبع هذا يحصل أحيانا لذالك لم نعر الأمر أهمية بالغة. تبادلا أطراف الحديث وأكلنا البسكويت فقالت أمي ممازحة أخاها: "زوجتك تطبخ الحلويات جيدا، هل نساء تونس كلهن هكذا!" ضحكت زوجة خالي ولم ترد، السؤال لم يكن استفهاميا وإنما تعجبا، لذالك لم ترد، ولكن كلام أمي أثار انتباهي لشيء، بحكم صغر سني فأنا لا أعرف شيئا عن أصول زوجة خالي، لم أكن أعلم أنها من تونس قبل أن تقول أمي جملتها تلك، **ولكن** لقد رأيتها في الحلم وكانت من تونس! هل هي رؤيا أم ماذا؟ بقي هذا السؤال يشغل بالي إلى حين. عدنا للمنزل فأردت الصعود إلى غرفتي مباشرة ثم تذكرت أنني لم أذهب إلى المدرسة اليوم! كيف وافقت أمي على اصطحابي واليوم يوم دراسة؟ حتى زهرة لم تذهب! سألت أمي عن ذالك فأجابت أن اليوم يوم الجمعة، لم أنتبه لهذا، ضرب الأولاد لرأسي أثر فيّ هبه، صعدت 3 سلالم ثم تذكرت:

-أنا: أمي، أين هو أخي!

-أمي: إنه في عمله، يغيب لأيام ثم يعود.

أكملت صعودي إلى غرفتي ثم تناولت الأوراق التي كتبتها بالأمس، أتيت بورقة أخرى جديدة وبخط عريض كتبت في منتصفها: "فلسفة مريض نفسي"؛ ثم فتحت حاسوبي ونشرت كلاما جديدا في المجموعة: "سأنشر لكم رواية صنعتها"، هذه المرة لم أنتظر التعليقات وأغلقت الحاسوب، رحت للخزانة هناك أفتحها، لا شيء فيها سوى ملابسي وبعض الكتب المدرسية، رتبتها بعد أن أخرجت جميع ملابسي وأعدت ترتيبهم، وأخرجت الكتب ثم أردت وضعها في علبة كرتون فذهبت لأمي أسألها، قالت أن أذهب لمخزن الأغراض في الغرفة الجانبية، غرفة صغيرة مظلمة مملوءة بالأغراض، بالكاد وجدت علبة بعد أن تحسست جميع الموجودات بيدي بسبب الظلام، اتسخت كليا لذالك نظفت نفسي في الحمام أولا ثم عدت لعلبتي التي وضعتها قرب الغرفة، وضعت الكتب داخلها ثم حملتها لأضعها في مكانها داخل الخزانة ولكن كتيبا صغيرا سقط، وضعتها على الأرض لأرى من أين سقط، وجدت العلبة مثقوبة من إحدى الجوانب؛ ثقب بحجم طائر الحمام لم أنتبه له، أخرجت الكتب كلها ومع همّي بالتخلص من العلبة تذكرت شيئا، قفزت كالمجنون أحمل وأقلب الصفحات التي كتبتها، "علبة كرتون قديمة وهشة" "كوة في إحدى جوانب العلبة بحجم حمام" كل هذا رأيته في الحلم ذاك،

هذا دليل ثان أثّر في خاطري وأرق تفكيري، أخرجت ورقة جديدة وحملت القلم لأفكر، سأكتب ما أفكر فيه وهذا سيساعدني على التركيز، بعد نصف ساعة امتلأت الورقة بالخطوط والكلمات والأسهم، كل شيء في ذالك الحلم واضح وله جواب محتمل، إلا شيئان فقط، الأول هو ابنة الجبل كيف ماتت، قصتها كانت مشوشة في الحلم، والثاني هي شخصية ظهرت قليلا فقط وهي "جميلة"، تلك الفتاة التي ساعدت في إيقاف القنبلة في عين صالح، لماذا لم تظهر مع الشخصيات في حلمي الثاني؟ وأيضا ذالك الصوت الذي أيقظني من سباتي عندما كنت مخطوفا عند العصابة، هل هو صوتها هي؟ هذا هو ما بقي لغزا من ذالك الحلم، مهلا لحظة! هل هناك حلم طويل كهذا وفيه تفاصيل كهذه؟ هل يمكن أن يكون الواقع حلما والحلم واقعا؟ امتلأ رأسي بالأسئلة، سأريح جسدي قليلا، ارتميت على السرير فدخلت في حلم طويل، رأيت فتاة جميلة كالقمر واقفة أمامي تعرف عن نفسها، أظنه تكملة للحلم السابق، قالت: "أنا جميلة..." أرادت إكمال حديثها ولكنها صمتت قليلا ثم تغيرت ملامحها للجدية وقالت: "استيقظ يالعباس، يجب أن تكمل اختبارك". ثم انفجر وجهها، وتشكل وجه التابوت وقال بصوت مخيف: "سينتهي أمرك"، استيقظت مفزوعا من نومي وبدأت الخيوط تربط الأحداث في عقلي، لم تكن الحكاية حلما، الآن أنا في اختبار ثانٍ وعلي إيجاد حل اللغز.

فجأة سمعت صوت صراخ أمي وبعده صوت إطلاق نار، سارعت للاختباء تحت السرير -جسدي ضعيف لذالك استطعت الدخول-، اسمع أصوات رجال: "ابحثوا عن أي طفل" ثم دقات أحذيتهم على الأرض، الآن دخلوا غرفتي على عجل ثم خرجوا مسرعين وأحدهم يقول: "لا يوجد أحد"، انتظرت ربع ساعة وأنا على تلك الحال ثم خرجت مرتعبا من غرفتي، نزلت السلالم بخطوات خفيفة، أرى دماءً منتشرة هنا وهناك، ما إن أكملت النزول وإذ بي أرى جثتي أمي وأخي ممدتين على الأرض والدماء تصبغهما، - متى عاد أخي من عمله؟- أصابني الذعر، وصدمة نفسية لولا أني تذكرت بأن هذا مجرد عالم موازٍ صنعته النار الحارقة. خرجت مسرعا من بيتنا إلى بيت خالي، لاحظت أن المنازل كلها مفتوحة، أؤلئك الارهابيون اقتحموا البيوت وقتلوا ساكنيها، وصلت إلى بيت خالي وإذ بجثته قرب الباب حيث كان يجلس دائما والرصاص اخترق دماغه، دخلت المطبخ وجثة (لبنى) ممدة هناك، بحثت عن زهرة فلم أجدها، هل تمكنت من الهرب يا ترى! الأهم هو مالمطلوب مني الآن؟ هل علي غلق بوابة أخرى؟ لا أذكر أن هناك واحدة في قريتي، ماذا يفعل الواحد في عالم مواز مات فيه كل هذا العدد من البشر! راودتني فكرة وهي الذهاب إلى الجبل الأصفر لربما أجد رأس خيط، سرت بين الجدران بحذر كيلا أصادف أحدهم، وصلت للعرف بعد برهة من الزمن، صعدته؛ أرى القرية كلها وجميع القرى المجاورة، وخلفه هناك الحقول الشاسعة، أشجار النخيل تغطيها. جلست فوق الرمل أحاول

تجميع أفكاري، في المرة الماضية تحرر 15 وحشا بعد انفتاح البوابة، كانت البوابة داخل الكهف ولكن الفتحة ظهرت خارجه، هذا يعني أن الباب الكبير ما هو إلا علَم، علم يدل على مكان الفتحة، وأن الفتحة تظهر في مكان ترابط الأحداث كلها، مثل جثة أب نينيا، من الحفرة التي دفنت فيها عظامه ظهر المدخل، هذا سيجعلني حذرا في قادم الأيام، وأيضا فتلك كانت بوابة العذراء وهي أول بوابة فتحت كما قالت شيماء، وهناك ست غيرها (الكهل والشاب والطفل والمجنون والحيوان والجني) ولست أدري أيها على منع فتحه الآن، سأعيد تذكر الأحداث كلها لربما أجد دليلا، بينما أنا هكذا وإذ بي أرى شابا قادما من بعيد، ذو وجه دائري وبشرة سمراء، شاب رأيته من قبل، إنه العفريت أخ شيماء. ضحكته تنمُّ عن شر عميق، لربما أعمق من تلك النار الحارقة، ما إن وصل إليّ حتى قال:

-لا وقت لدي للشرح، المصادفة سمحت لي بلقائك، أريد إخبارك بشيء.

-حتى أنا لدي ما أسألك عنه.

-اسمع لما سأقوله، دخلت معك الاختبار لأني لمستك في اللحظة التي دخلت فيها، هذه احدى القواعد السرية التي أُخفيت عنا، وأيضا فأنا قد منعت بوابة الجني أن تفتح، أظن أن النار الحارقة لم تتوقع نجاحي، لذالك بقيت أُسحب من عالم إلى عالم قرابة المائة مرة.

-أنا أخفقت في بوابة العذراء، وها أنا حائر الآن أين ستكون البوابة.

-بما أنك في الجزائر الآن فهناك بوابة واحدة، هل تذكر رحلتك من بشار الى وهران في الطائرة، ذالك البريق...

انفتحت بوابة بعدية[21] خلف ظهر العفريت وسُحب إليها بلمح البصر ثم انغلقت، بما أنه وُضع في اختبار غلق بوابة فهذا يعطيني استنتاجا: أن الاختبار يدور حول منع البوابات أن تفتح، ولكن هل إذا نجحت سأرمى بين العوالم كل مرة؟ وأيضا ماذا كان يعني بآخر كلام له؟ رحلتي بين بشار ووهران؟ سأعود إلى المنزل وأرى.

نزلت العرف ونعلي في يدي، تسللت بين الجدران كالمرة السابقة حتى وصلت عند باب البيت، مررت بين جثتي أمي وأخي متحاشيا النظر إلى وجهيهما، ليس عالما حقيقيا فلا بأس، صعدت السلالم إلى غرفتي وحملت تلك الأوراق أبحث عن ماذا حصل بين بشار ووهران، -أخبرتكم من قبل أنني رأيت قصتي كلها عندما كنت نائما ثم كتبتها على هذا الورق-؛ أقلب الأوراق حتى وقعت عيني على "أظنها أريافا وكنا نحلق فوق ولاية تندوف.. رأيت نقطة بيضاء تشع، كمن يعكس أشعة الشمس على وجهك بقطعة زجاج، هل هناك شيء يمتد بريقه من الأرض ويصل إلى هذا الارتفاع!"[22]، فوق تندوف إذن! ولكنها بعيدة عني بمئات الكيلومترات! علي حزم حقائبي إذن، أخذت بذلتين من

بعدية بضم الباء، هي بوابة تنقل الشخص بين عوالم الاختبار، ليست بوابة جانب النجوم التي تقودك لعالم الوحوش.[21]

[22] عد للموقف الثالث في الجزء الثاني من الرواية

خزانتي ووضعتهما في حقيبتي ثم نزلت السلالم إلى غرفة أبي ومن ثم إلى خزانته فأخذت منها مبلغ 50ألفا وانطلقت في رحلتي، خرجت من القرية متخفيا ولكن ما أثار انتباهي أن القرى المجاورة يعيش ساكنوها في طمأنينة، لا وجود لأي إرهاب! كيف هذا؟ هل هذا العالم غير مستقر وأن الإرهاب مجرد رجال يظهرون ويختفون مثل الفايروس في الحاسوب! هل حدث خلل في هذه العوالم بسبب نجاح ذالك العفريت في الاختبار؟ أم أنها أشياء مدبرة وستظهر نتائجها فيما بعد؟ كل هذه الأسئلة تملأ رأسي وأنا الآن في طريقي لأدرار، سآخذ طائرة إلى تندوف وأحاول البحث هناك، نسيت إخباركم أنني أخذت تلك الأوراق معي لعلها تفيدني في شيء.

الساعة الآن العاشرة ليلا وللأسف لم أجد أية طائرة إلى تندوف ولا حتى بشار، لذالك أخذت طائرة لوهران وسأعود بالحافلة من وهران إلى تندوف، لا أعرف كم المسافة بينهما ولكني ذهبت رغم ذالك.

الطائرة الآن تخطت نصف المسافة على ما أعتقد ثم سمعنا المضيفة تقول: "لأسباب أمنية سوف نحط على مطار بشار ثم سنكمل طريقنا بعد ذالك"، مرت دقائق ثم هاهي الطائرة في مطار بشار الآن، ناديت المضيفة وقلت لها:

-هل ولاية بشار كانت في طريقنا؟

-المضيفة: لا، لأسباب أمنية جئنا هنا.

أنا مشوش الآن لا أعرف أماكن الولايات على الخريطة، هل ذالك الضوء كان من تندوف أصلا؟

نزلنا من الطائرة الى قاعة الانتظار، لفتت انتباهي خريطة الجزائر معلقة على الجدار وعليها أسماء الولايات، إني أرى بشار وفي جنوبها الغربي تندوف، هل رأيتم! كنت مخطئا بشأن ذلك الضوء، لم نكن فوق تندوف وإنما ولاية أخرى. كيف سأعرف الآن؟ لن أرى ذلك الشعاع مرة أخرى لأن البوابة مغلقة، هل أكمل طريقي إلى وهران أم أبقى هنا؟ تذكرت فجأة أن تلك الأراضي كانت عبارة عن أرياف، نحن الآن في رق قاحل لهذا قررت إكمال الطريق، ليس إلى وهران وإنما إلى حيث الريف، صعدت في تاكسي بعد أن خرجت من المطار وبعد ضجة كبيرة عندما أخبرتهم بعدم إكمالي الرحلة، قالوا أنهم لن يعيدوا إلي نقودي لكن لا بأس. وصلت إلى محطة الحافلات وقلت للشباك أن يعطيني تذكرة إلى أقرب ريف، تعجب من سؤالي ونظر إلي باستغراب ثم أعطاني واحدة مكتوب عليها "النعامة"، لعله يقصد ولاية النعامة، لا أعرف شيئا عن الولايات الغربية لذالك سأذهب على كل حال، ركبت الحافلة وبعد 4 ساعات ونصف وصلنا، كان الوقت فجرا حينها، دخلت محطة المسافرين أنتظر شروق الشمس، استلقيت في الباحة ونمت، لم أشعر بالوقت، نمت ثلاثة ساعات واستيقظت والشمس مشرقة. غسلت وجهي ثم ذهبت لأسأل أحدهم، هناك مثل أتبعه في حياتي وهو: "كن غبيا واسأل لمرة، ولا تكن غبيا طوال حياتك"، أول شخص كان أمامي قلت له:

"هل هناك ريف قريب من هنا؟" أجاب: "خذ تاكسي، ليس بعيدا". خرجت من المحطة والآن أنا في التاكسي ولست أدري إلى أين سيأخذني. بعد نصف ساعة وصلنا إلى ريف، مروج خضراء وقرى متفرعة هنا وهناك، أعطيت صاحب التاكسي أجرته ثم شققت طريقي نحوها، دخلت إحدى تلك القرى، بيوت بالإسمنت والياجور، تشبه بيوت الاختبار الماضي لحد بعيد ولكن الناس هنا نشطون جدا، محلات وأشغال وزراعة، لا ترى أحدا جالسا بلا عمل، كلهم مشغولون، دخلت إحدى تلك المحلات، محلات لصناعة الخشب (أبواب، نوافذ وخزانات..) سألت صاحب المحل:

-هل هناك مرقد هنا؟

-يوجد واحد في آخر القرية؛ اتبع هذا الشارع الى آخره.

ذهبت إلى حيث دلني فوجدت منزلا قديما كأنه إسطبل، مكتوب عليه بالصبغة "مرقد" وبجانبها رمز لسرير، دخلت إليه وإذ بامرأة عجوز على كرسي تنظر إلي وتقول:

-أهلا بك تبدو أجنبيا.

-أنا من أدرار، أريد المبيت 3 أيام.

-ممم، حسنا، الأجرة 3000.

أعطيتها المال فأعطتني مفتاحا قديما كقدم هذا المبنى، الغرفة 10؛ ذهبت على طول الرواق إلى آخر غرفة على اليمين، فتحتها وإذ هي بمساحة 4×3 م، سرير خشبي بجانب الجدار وخزانة كبيرة مقابلة له، وطاولة وكرسي. أغلقت الباب خلفي وارتميت على السرير لأرتاح قليلا فأخذتني عيني إلى أحلام طويلة. استيقظت وكل عضلة تشتكي كأنني نمت بعد العصر، نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط، الخامسة مساء! نمت كل هذا الوقت! تحاملت على نفسي وخرجت من غرفتي ثم إلى خارج المرقد، الشمس اصفرت وهذا يعني أن الغروب اقترب، لا شيء غريبا في هذه البلدة.

مر من جانبي رجل في الأربعين تقريبا، استوقفته وسألته:

-ما اسم هذه القرية؟

-حماة

-أوليست حماة بلدة سورية؟

-أنت في سوريا يا فتى.

-مستحيل، أنا في ولاية النعامة في الجزائر وقد أوصلني تاكسي إلى هنا.

-لا يوجد تاكسي يصل إلى هنا، يخاف الناس كلهم من الإرهابيين وقطاع الطرق.

-لماذا تبدو القرية هادئة إذن؟

-لدينا دفاع خاص بنا، هناك حراس على جوانب كل قرية يحرسونها من أي خطر.

-لم أر أي واحد منهم عندما أتيت!

-بالطبع لن تراهم فهم مختبئون.

لم أشأ زيادة الأسئلة عليه فقد لمحت سكينا مدسوسة تحت قميصه، هؤلاء القوم يظهرون الضعف عمدا كي لا يأخذ العدو حذره.

عزمت على اكتشاف طرف خيط قبل غروب الشمس، سرت في الطريق التي أتيت منها حتى وصلت إلى مدخل القرية، كانت هناك طريق سيارات بعيدة ولكنها لم تعد موجودة، كنت أرى بعض المدن البعيدة والآن لا، ربما تغيُّرُ شكل المباني والقرى سببه اضطراب هذا العالم، حتى تغير طابع بناء قرية "بافل" لم يكن سببه الجبل وإنما اضطراب عام تسبب به ذالك العفريت بنجاحه في اختبار، هذا يعني أنه كلما زاد عدد البوابات المغلقة كلما زاد الاضطراب وكلما كان الاختبار القادم أصعب.

عدت إلى غرفتي في النزل لأنظم أفكاري، غربت الشمس منذ مدة وأنا الآن أحمل قلمي أكتب في بعض الصفحات الفارغة، أكتب أي شيء خطر ببالي:

أولا فقد ذكر العفريت أنه دخل معي الاختبار بسبب لمسه إياي، هل لمسني أحدهم من غيره؟

ثانيا ما تكون هذه البوابة التي أنا بصدد البحث عنها؟ ومتى موعد فتحها؟

ثالثا والأهم، الأطفال الذين كان يأخذهم الثلاثة الأغنياء، هل أخذوهم لعالم آخر؟ هل يمكن أن تكون لهم علاقة بهذا الاختبار أو بغيره؟

هذه الأسئلة يجب أن أكون حذرا تجاهها. وضعت قلمي واستلقيت على السرير، أريد النوم ولكن لا أستطيع، نمت ساعات طوالا لذالك لن يزورني النوم إلا في ساعة متأخرة، قررت بعد ذالك الخروج من المرقد، الساعة الآن تشير إلى التاسعة ليلا، الشارع مضاء والناس في منازلهم، لا أحد يتجول في الليل خوفا من الخطر، هم يثقون في دفاعاتهم ولكن ذالك الخوف الداخلي لا حل له.

ذهبت على طول الشارع حتى خرجت من القرية، أكملت طريقي نحو القرية الأخرى؛ نفس البيوت تقريبا ولكن هناك 3 أو 4 رجال يجلسون في الشارع قرب منازلهم، يرمقونني بنظرات تعجب، ثم فجأة حمل أحدهم مسدسه موجها إياه نحوي قائلا: "لا تتحرك، انزع قميصك" ليس لدي خيار آخر سوى الاستجابة له؛ نزعته ورميته على الأرض رافعا يدي إلى الأعلى، اقترب الرجل مني بحذر ووضع يدي خلف ظهري بعد أن تفحص سروالي ثم أخذني بقوة وأدخلني إلى بيته، وجدت أطفالا موضوعين في الزاوية مربوطي الأيدي،

أطفال في سن المراهقة أو أقل. وضعني بجانبهم ثم قال: "لا تثر الضجة". جلست بقربهم وسألتهم عن أعمارهم، أكبرهم سنا في الثانية عشر هي فتاة اسمها نداء وأخوها باسل يصغرها بعامين، الخوف ينهش عظامهم والجوع بلغ منهم مبلغا عظيما، سألتهم: "هل يعلم أحد بشأنكم؟" أجاب باسل:

-لا أحد، نحن هنا منذ شهر ولم نر أحدا سوى هذا الرجل.

-احكي لي كل شيء لو سمحت.

يتكلم بصعوبة بسبب الجوع، معدته تؤلمه لذالك قطعت أخته حديثه قائلة:

-**نداء:** أنا سأحكي لك. كنت أنا وأخي نعيش في القرية المجاورة، أبي يعمل في صناعة الخشب وأمي تعمل في مرقد تنظف غرفه وأفرشته كل يومي أحد وأربعاء، عائلتنا بسيطة وليست هدفا للإرهاب أو اللصوص، ولكن ذات يوم وبينما أمي في عملها وجد أحدهم باب البيت مفتوحا، نسيته أمي كذالك. كنت في غرفتي أرسم في كراسي فسمعت صوت جلبة سريعة، ظننت أمي عادت فرحت إليها، خرجتُ من الغرفة متوجهة نحو البهو فرأيت أخي ممددا على الأرض فاقدا الوعي، أردت تفقده ولكن ضربة خلف رأسي حالت دون ذلك. عندما استيقظنا وجدنا أنفسنا هنا.

-أنا: لا تعرفون شيئا إذن! ماذا عن حالكم هذا؟ ألم يطعمكم يوما؟

-نداء: كل ثلاثة أيام يأتينا بالطعام، هذا هو اليوم الثالث لذالك أنت ترانا هكذا.

-أنا: فظيع! من يفعل هذا بمجموعة أطفال!

أعرف كيف أهرب ولكن هؤلاء الأطفال لم يروا خطرا في حياتهم، صحيح أنني أكبر منهم بسنتين فقط وجسدي هزيل مثلهم ولكن رأيت أنواعا لا تحصى من الخطر، وأيضا فك رباط يدي هو أسهل ما يكون، فكرت مليا في الخطوة التالية، هل أفك رباطهم وأعيدهم إلى أهاليهم؟ قرابة العشرين طفلا! سيقبض علينا الرجل بسهولة، لذالك قلت لنداء وأخيها: "لن نستطيع الهرب كلنا، لذالك سأذهب أنا وأشحذ رجال القرية ليحرروكم"، أمسك باسل بذراعي بكلتا يديه وهو يقول بصعوبة: "أعطني وعدا" أجبته بكل ثقة: "أعدك". فككت الحبل بسرعة ثم انتظرت الرجل حتى يأتي؛ ستقولون لماذا وسأقول لكم أننا موضوعون في الغرفة الأولى والباب قريب منا؛ لذالك سأنتظره حتى يدخل لغرفة أخرى وأهرب، كي لا أصادفه في طريقي لأنه يحمل مسدسا معه. دخل الرجل وهو مفرط في شرب الكحول، يلقي السباب هنا وهناك حتى دخل إلى الغرفة الأولى مغلقا الباب خلفه، تسللت بخطى خفيفة، فتحت باب المنزل ثم أغلقته من خلفي، ركضت مسرعا نحو القرية الأخرى، مثلما تركتها، الناس في منازلهم والساعة ربما العاشرة ليلا، كيف سأجمع الناس؟ بالطريقة التقليدية طبعا. وقفت وسط

الشارع وأنا أصرخ: "يا نااااس.. وجدت أطفالكم"، كررت هذه الجملة وأنا أرى الظلال من خلف النوافذ تجتمع، لا أحد يريد الخروج ولكني لن أتوقف، "أطفالكم عند رجل من القرية المجاورة، نداء وباسل وآخرون"، هنا انفتح باب من الأبواب البعيدة ليطل على رجل متوسط، وسطٍ في كل شيء، لا بالطويل ولا بالقصير لا أسودا ولا أبيضا، ضع لفظة وسط في مخيلتك وستراه، كان يحمل بندقية يوجهها صوبي وهو يصرخ: "من أين تعرف أولادي؟" لما سمع الناس صوته خرجوا بأسلحتهم، لابد أنه ذو جاهٍ بينهم، عندما اقترب رأيت وجهه بوضوح فعلمتُ أنني التقيته، هو نفسه صاحب محل الصناعة بالخشب، أخبرتني نداء بذالك ولكني لم أتذكر، -لست بارعا في ربط الأحداث لهذا فشلت في الاختبار الماضي-. ما إن رآني حتى قال:

-أنت! أنت الفتى الذي كان يسأل عن مرقد!

-نعم، ولقد سجلت فيه كما أرشدتني.

-ماذا يفعل طفل مثلك هنا في وقت متأخر؟

-كنت في القرية الأخرى فاعترض طريقي أحدهم وأدخلني منزله مربوط اليدين فوجدت أطفالا هناك وحالتهم مزرية، تحدثت معهم فتعرفت على طفليك، استطعت الهرب ووعدتهم أني سأعود برجال القرية لأنقذهم.

-هيا فلنذهب.

أمسكني من يدي وهمّ بالذهاب لكن رجال القرية منعوه قائلين: "ماذا لو كان يخدعنا؟ ماذا لو كان طعما من قطاع الطرق؟" أغضبوني جدا فصرخت فيهم: "ماذا تريدون كإثبات؟ أنا مستعد لفعل أي شيء، المهم أن ننقذ الأولاد" صمتو لدقيقة ثم قالوا: "لا نصدق ان ولدا مثلك فك رباطيه وهرب" أجبتهم على عجل: "إذن اربطوني وسترون".. أتوا بحبل وضموا يدي خلف ظهري وربطوهما ثم تركوني، بعد دقيقة أعطيتهم حبلهم بيدي فاندهشوا. صرخ فيهم ذالك الرجل: "كفى إضاعة للوقت، سيذهب معي 10 رجال والبقية عودوا إلى منازلكم". ظننت أنهم سيختلفون فيمن سيذهب، ولكن عشرة رجال خرجوا من الجمع مباشرة وانتشر البقية، ذهبنا نحن الاثنا عشر (أنا وأب الطفلين و10 رجال) عندما وصلنا لحدود القرية الأولى طلب الرجل من ثلاثة البقاء هناك متأهبين، واصلنا المسير إلى القرية التي فيها الأطفال وعند حدودها وضع ثلاثة آخرين؛ دخلنا القرية وأولئك الثلاثة رجال يجلسون قرب منازلهم كالعادة؛ لم يتحركوا شعرة من مكانهم لما رأونا؛ أشرت بيدي إلى المنزل المقصود فاقترب من الباب أب الطفلين ومعه رجلان ووقف الآخران في الشارع يحرسان؛ طرقنا الباب مرة فلم نسمع صوتا، فقال أحد الرجلين: "لقد فتشنا هذا المنزل من قبل، أنا متأكد" أشار إليه الرجل أن يصمت ثم طبطب مجددا فرد أحدهم من الداخل: "من؟" قال والد الطفلين: "أنا رجل من القرية المجاورة أريد التحدث معك"؛ رد بصوت واثق: "حسنا"، قال أحد الرجلين: "لديه شجاعة مفرطة ليفتح لأحدهم ليلا"

انفتح الباب كاشفا عن وجه رجل أربعيني، رث الثياب، ضعيف الهيئة؛ رأيته من قبل؟ استغرق مني الأمر ساعات حتى تذكرت أنه نفس الرجل الذي التقيته حاملا سكينا في القرية الأخرى، ورغم هذا لازال شيء ما يجز في نفسي تجاهه. قال له الرجل بنبرة شديدة: "سنفتش منزلك". تنحى من الطريق سامحا لنا بالدخول، لست أدري أين ذهب الرجل الذي حبسني، حتى إن المنزل نفسه وهو غير موجود. أشرت إليهم بأن يبدؤوا بتلك الغرفة حيث كان الأطفال، فتحناها فلم نجد شيئا، قلت في نفسي أنه لربما خبأهم في مكان آخر ولكننا بحثنا المنزل كله ولم نجد أثرا. خرجنا بعد أن أتممنا العملية فقال لي والد الطفلين:

-هل أنت متأكد من المنزل؟

-تمام التأكد، ربما نقلهم إلى مكان آخر بعد أن هربت.

نظروا الى بعضهم البعض وقال أحدهم: "ماذا سنفعل؟ هل سنبحث في كل هذه المنازل مجددا؟" أجابه الآخر: "صباحا سنفعل". عدنا إلى القرية جارين أذيال الخيبة؛ كنت متعجبا من شيء فسألت الرجل قائلا: "كيف ستفتشون البيوت؟ ألن يعترضكم سكان القرية؟"، تململ قليلا ثم قال:

-لدينا معهم اتفاق، عندما يأتي أحدهم ومعه زعيم القرية؛ يمكنه تفتيش أي بيت، هكذا لنحافظ على الثقة بين سكان القريتين.

-ومن زعيم القرية فيكم؟

صمت الرجال كلهم ولكنني استنتجت أمرين:

الأول أن الزعيم يعرفه السكان فقط ولا يسمح بكشف هويته.

الثاني أن والد الطفلين هو الزعيم، ألم تروا كيف كان يلقي عليهم الأوامر؟

المهم أننا عند عودتنا وجدنا الثلاثة رجال الذين وضعناهم على حدود القرية الأخرى مقتولين -أقصد القرية التي كنا نفتش فيها- حينها أخذنا حذرنا حتى وصولنا إلى حدود قريتنا، كان الثلاثة الآخرون ينتظروننا هناك، ظننتهم سيلومونهم على عدم مساعدة الثلاثة المقتولين ولكنهم لم ينطقوا ببنة شفة، أدوارهم مقسمة وعملهم منظم.

دخلنا القرية وانتشر الرجال كلٌّ إلى منزله وأنا عدت إلى النزل ذاك وبالي مشغول بأؤلئك الأطفال، دخلت النزل فلم أجد المرأة العجوز تلك، رحت إلى غرفتي في آخر الرواق، الغرفة رقم 10، الغريب أن لا أحد غيري هنا، فتحت باب غرفتي ثم إلى السرير لأنام، الساعة الآن تشير الى الأصفار الأربعة، رأيتها على ساعة الحائط مع ضوء القمر قبل أن أرتمي إلى السرير مباشرة، نهضت كالمفزوع من فراشي، دائما عند الأصفار الأربعة يحدث شيء مهم، خرجت من غرفتي وإذ برجل واقف أول الرواق، رجل في الخمسين نسيت ملامحه،

إنه الهواري! لو كان جنيا أو وحشا من الوحوش لما فزعت كما أنا الآن، خرجت الحروف بصعوبة من فمي: "كيف ذالك؟" فأجاب:

-كم عمرك الآن؟

-أنا في الرابعة متوسط [23] إذن عمري 14 سنة.

-لم تصل للخامسة عشر بعد، إذن أنا حي.

سرت نحوه وأنا غير مصدق، خطوة بخطوة حتى تبقى بيننا متر واحد، أمام الغرفة رقم 5 مد يده إليّ فعانقته، علاقتي به لم تكن عميقة إلى هذه الدرجة ولكن أن ترى شخصا يمكنه مساعدتك في هذا العالم الموحش فما عليك سوى أن تعانقه، بعد أن تأكدت أنه الهواري حارسي سألته:

-كيف أنت في هذا العالم؟

-كل ما هو هنا محاكاة للواقع، هذا مجرد حلم منظم يشبه الحقيقة، ولكن الذين هنا عدا من هو حي في الواقع هم بنفس وعيهم.

-لم أفهم.

-أمك هل تركتها حية قبل أن تدخل الاختبار؟

-نعم بالتأكيد، أنقذت أبوي في عملية تبديل الرهائن.

[23] عندما قتل الارهاب الأطفال الذين كانوا يضربونه على رأسه كان يدرس في الرابعة

-إذن فأمك التي رأيتها في هذا العالم هي محاكاة لا غير، أما الذين ماتوا في الواقع إن رأيتهم هنا فهم بمثل وعيهم قبل أن يموتوا، يعني أنني لست الهواري نفسه وإنما نسخة أحمل قدراته ووعيه لا غير.

-الآن فهمت، مثل ضياء الذي التقيته. لماذا لم تظهر في الاختبار الماضي؟

-هل دخلت اختبارا قبل هذا؟ وعيي محصور هنا، ربما لأنك خضته وعمرك فوق ال15، ألست تذكر أن الحارس يموت عندما يبلغ الڤولدن هذا العمر؟

-نعم أذكر، المهم الآن ماذا سنفعل؟ هناك بوابة ستفتح عما قريب وعلي منع حدوث هذا، لست أدري أية واحدة ولا أين مكانها ولا متى ستفتح.

-أنا مثلك الآن، هذه أول مرة أرى فيها اختبار ڤولدن، ولكن هناك شيء مهم أود إخبارك به؛ هناك مجموعة من الجن يجوبون القريتين، رأيتهم في أماكن متعددة ومنهم ذالك الرجل الذي حبسك مع الأطفال والثلاثة الآخرون الذين كانوا يجلسون قرب البيوت.

-تبا! كانت الجن تساعدني والآن هم ضدي.

-لم أعرف أين ذهب الأولاد ولكن الرجل الأربعيني ذاك ليس من الجن.

-لازال الأمر غامضا ولكن هناك شيء سأفعله ولو خسرت الامتحان؛ وعد قطعته على أحدهم وسأنفذه.

اختفى هواري فجأة، أظنه سمع جملتي الأخيرة على الأقل؛ المهم الآن لأعد إلى غرفتي، جلست على الكرسي قرب سريري أفكر، الجني الذي كان مع ابنة الجبل في الكهف متنكرا بهيئة أبيها، ثم هؤلاء الجن الذين يجوبون الأنحاء ويخطفون الأطفال، في الاختبار الفارط كان 3 أغنياء يأخذون الأطفال المشردين إلى المجهول والآن الجن تفعل ذالك؛ هل هناك ترابط بين العالمَين؟ لا أظن ذالك، سقط رأسي على الطاولة من شدة التعب ورحت في أحلام غريبة.

حلمت أنني جالس على الكرسي وشيء ما يغلق فمي لم أدرِ ما هو، ثم هاهي جميلة التي رأيتها في الحلم السابق واقفة أمامي مجددا وهي تقول: "البوابة بجانبك إنها..." تغير وجهها وحل مكانه وجه نداء، تصرخ مستغيثة: "أنقذنا، هل أخلفت وعدك؟" استيقظت فزعا وضوء الشمس يضيء الغرفة كلها، بسرعة خرجت من غرفتي فوجدت امرأة أمامي، تبدو في الثلاثين من عمرها أو أكثر؛ قالت لي:

-سأنظف غرفتك إن كنت ستخرج الآن.

-لا بأس، أنت أم نداء وباسل؟

-كيف عرفتني؟

-لقد حكيا لي كل شيء، أنت تعملين هنا كل يومي أحد وأربعاء.

-أخبرني زوجي بما حصل البارحة وكذبتك، أعتذر منك. كيف كان حال ولديّ؟

-للأسف فهم يأكلون مرة كل 3 أيام، وجدتهم جوعى ولست أدري أين أخذهم ذالك الرجل.

نظرت إلى يدها التي تمسك المكنسة بها، يداها ترتعشان، أضفت قائلا:

-هل زوجك في المحل؟

-خرج منذ الصباح ولست أدري إلى أين.

ودعتها ثم خرجت مسرعا من الفندق، كانت المرأة العجوز جالسة في الاستقبال على الكرسي وتبتسم، لمحتها بعيني وأنا أركض.

ذهبت مباشرة إلى محل الخشب، دخلت فلم أجد أحدا؛ المحل مفتوح ولا أحد. ناديت بأعلى صوت: "هل من أحد هنا؟"، لاحظت تمثالا من خشب موضوعا في الزاوية، الضوء لا يصل إلى هناك لذالك لست أراه جيدا، كنت متأكدا تماما أنه هو، ضغطت على القاطعة فانفجر المصباح الذي كان مطفئا، قلت بكل ثقة: "علمت أن هذا سيحصل أيها التابوت الفرعوني"، أشعت عينان من الظلام بالحمرة، وانطلق صوت من أعماق الجحيم:

-كيف رأيتني وأنت لم تبلغ الخامسة عشر بعد؟

-هذا بسبب اضطراب العالم أو ربما مصادفة أو ربما بفعل فاعل.

-لم أتوقع حدوث هذا ولكن لا بأس، لن تنجح في الاختبار على كل حال.

-لا تأمل كثيرا أيها الوحش.

غادرت المكان تاركا إياه، لم أرَ أية بوابة هناك، هذا يعني أنه يشتت انتباهي لا غير؛ لكن كيف استطعت رؤيته؟ هل ازدادت الفوضى بسبب حدث ما؟

ذهبت مباشرة إلى القرية الأخرى، أماكن البيوت تغيرت تماما؛ هذا يزيد صعوبة الامتحان، لم يتطلب مني الأمر كثيرا حتى وجدت الرجال يفتشون البيوت واحدا واحدا، ذهبت إليهم وسألتهم: "هل من أثر؟" فأجابوا بالنفي، تركتهم ورحت إلى مكان منعزل عنهم، سأفكر وأحاول ربط الأحداث، التفكير يجعلني مرتاحا، حتى لو فشلت في إيجاد شيء فالمهم أني حاولت:

هناك قرى متباعدة فيما بينها، ما بين الواحدة والأخرى كيلومترين على الأقل، سوى هاتين القريتين فبينهما 50 متر لا غير، لذالك علاقتهما وطيدة. القرية التي فيها النزل ومحلات الخشب أسميها القرية (أ)، والقرية التي اختطفت فيها وكان الأطفال محبوسون فيها أسميها القرية (ب).. الآن أنا في (ب)، هواري رأى الجن هنا في هذه القرية بينما أنا رأيتهم رجالا عاديين لأنني لم أصل لسن أرى الجن فيه على حقيقتهم. رأيت وحش التمثال قبل قليل في القرية (أ)؛ وجميلة قالت لي في الحلم أن البوابة بجانبي؛ هذا يعني أنها في (أ)،

هذا بفرض أن كلامها في الحلم صحيح. الآن نعود للرجل الأربعيني الذي رأيته البارحة مرتين، مرة في (أ) عندما خرجت من النزل وكان يحمل سكينا معه، ومرة في (ب) حيث منزله هو نفسه الذي احتجز فيه الأولاد، وذالك الشعور الغريب عندما التقيته، لا يمكنني تجاهل هذا.

الآن لدي ملخص لِما رأيته في هذا العالم. اااه نسيت شيئا، ذهبت إلى أحد الرجال أسأله:

-تذكرت، قلتم أن الإرهاب وقطاع الطرق يشكلون خطرا في المنطقة، من أين أتوا؟ أقصد من أين أصلهم؟

-لا أدري، يقال أنهم مشردون من القرى الأخرى، لذالك علاقتنا معهم ليست جيدة باستثناء هذه القرية. ويقال أنهم أجانب عن البلد مثلك أنت.

-كيف علمت أنني أجنبي؟

-من لهجتك وطريقة كلامك.

-هل هناك شيء غير هذا يدل على أنني اجنبي؟ يعني لو جُبت القرى هنا ولم أنطق بكلمة هل سيعرف أحد أني أجنبي؟

-لا أبدا، لماذا تسأل؟

-لا شيء، هل قاتلت أحد الارهابيين من قبل؟

-لا، لكننا نرى أحدهم ميتا كل يوم، ورجالا منا ميتين، مثل الرجال الثلاثة البارحة، أنت رأيتهم بأم عينيك.

-حسنا، آسف على إهدار وقتك.

تركته وفي بالي شيئين مهمين، لا وجود للإرهاب إلا في مخيلة السكان، وتلك العجوز مديرة المرقد متورطة بشكل أو بآخر، أظنكم تقولون: "الأولى ربما نوافقك فيها؛ والثانية كيف عرفتها؟" أقول لكم أن العجوز حين رأتني ابتدأت الكلام وعلمت أنني أجنبي دون أن أتكلم، هذا يعني أنها تعرفني، سأعود إلى القرية (أ) وأتحرى الأمر.

وصلت بعد مسافة طويلة، السكان يعملون بجد ولا يحبون الكسل، خصوصا التجار منهم، دخلت محل الخشب لأني وجدته مفتوحا، نظرت إلى الزاوية فلم أر شيئا، ضغطت على القاطعة نفسها فاشتغل المصباح، ألم ينفجر من قبل؟ خرجت من المحل ذاهبا نحو المرقد فصادفت أم نداء وباسل عائدة إلى منزلها، استوقفتني قائلة:

-هل التقيت بزوجي؟

-نعم، رأيته في القرية الأخرى يفتشون المنازل هو والرجال، لقد نسي محله مفتوحا لو تستطيعين إغلاقه.

-سأحضر المفتاح الاحتياطي وأغلقه. شكرا لك.

دخلت النزل ولم أجد المرأة العجوز، لمحت دفترا فوق الطاولة فأخذته، بعض الفضول لن يضر أحدا، فتحته فلم أجد إلا اسمي، قلبت االصفحات واحدة تلو الأخرى لأرى الزوار، منذ قدومي بالأمس لم يأت أحد. أعدت الكراس لمكانه وسرت في الرواق أفكر وأفكر لعلي أجد طرف خيط، حتى وصلت إلى غرفتي، فتحت الباب وتمددت على السرير فلم أنتبه إلا والنوم قد أخذني في حلم آخر، جميلة مجددا؟ نعم هي مرة أخرى، واقفة أمامي وبيننا 3 أمتار، أريد التكلم ولكن شيئا ما يمنعني كالعادة، التفت خلفي هذه المرة فلم أجد إلا الظلام البعيد، نظرت أمامي ولم تعد جميلة هناك، أنا وحدي الآن، أستطيع التحدث كما أشاء، صرخت بأعلى صوتي: "جمييييلة" فاستيقظت من نومي إثر ذالك الصراخ، أنا على سريري أحتاج إلى ثوان كي أتذكر أين أنا، أتت العجوز تلك مسرعة وفتحت باب غرفتي وهي تقول: "هل أنت بخير؟" لم أستعد وعيي بالكامل بعد، كانت الكلمات تخرج دون إرادتي: "كيف عرفت أنني أجنبي؟" بدت عليها علامات التعجب من السؤال وردّت: "اتصل بي زوج الخادمة التي تعمل هنا وأخبرني أن ولدا أجنبيا قادم إلى المرقد" أمسكت رأسي كي أتخطى هذا الألم العابر ثم قلت لها: "يمكنك الذهاب؛ أنا بخير" أغلقت الباب خلفها فجلست على حافة السرير أحاول التركيز ثم نظرت إلى ساعة الحائط، إنه منتصف النهار، (لماذا أنا أنام كثيرا؟) راود هذا السؤال رأسي ثم ضاع بين كمّ الأسئلة، كان أب الطفلين هو من أخبرها إذن؟ كيف يتركون طفلا في عمر ال14 ينزل في

مرقد! ولد في عمري يعلمون أنه أجنبي عن البلد ويمر الأمر عليهم مرور الكرام؟ ألم يسألوا أنفسهم من والديّ؟ أو كيف استطعت الوصول إلى هنا؟ خرجت من المرقد إلى الشارع ثم إلى عند محل الخشب فوجدته مقفلا، أكملت سيري إلى القرية (ب) فوجدت الرجال أكملوا بحثهم ولم يجدوا شيئا، لما رأوني قال أحدهم: "يا ياسر، أليس هذا هو الفتى؟" نظر الرجال نحوي وقد علمت أن المدعو ياسر هو أب الطفلين (باسل ونداء) وهو زعيم القرية كما أخبرتكم من قبل، هرول هذا الأخير نحوي ووضع يديه على كتفي وهو يستجوبني: "هل أنت متأكد أنك رأيتهم؟ لو كنت تلعب معنا لعب الأطفال فأخبرني ولن أؤذيك، ولو كنت مهددا من طرف الإرهاب فسنحميك منهم". نظرت إليه ببلاهة وقلت: "لقد رأيتهم صدقني، لماذا عساي أكذب عليكم؟" فقد ياسر الأمل فنادى الرجال قائلا: "هيا لنعد". تبعه الرجال وهم يتأففون وسكان هذه القرية واقفون ينظرون إلينا، لو أنني أجد الرجل الذي خطفني، لكن للأسف فهو جني كما قال الهواري، والجن لن تجدها في النهار إلا نادرا.

عدنا أدراجنا إلى القرية (أ) وفي طريقنا عندما خرجنا من القرية (ب) وابتعدنا؛ سمعنا صوت الرصاص فانبطح الجميع، صرخ ياسر فيهم: "أطلقوا باتجاه الرصاص"، حينها رددت على كلامه: "لا تفعلوا، انتظروا" تعجب الرجال من جرأتي على زعيمهم فقلت له: "هؤلاء ليسوا إرهابا وسأثبت لكم ذالك"، حدّق ياسر فيّ عينيه غاضبا وهو يقول: "أنت أجنبي

عن البلد فمالذي تعرفه؟" أجبته بجدية: "هؤلاء ليسوا إلا حراس القرى الأخرى، كل قرية ترمي على الأخرى ظنا منها أنهم الإرهاب" استغربوا من كلامي حتى قال أحدهم: "وكيف نتأكد من صحة كلامك؟" قلتُ: "هذا عائد لكم، فكروا في طريقة تصلون بها إليهم دون أن يقتلوكم بهذا الرصاص، ثم تحدثوا معهم لتروا". أراد الزعيم الكلام فسبقه أحدهم مخاطبا الجميع: "نحن لم نر من يقتلوننا يوما، ومن نقتلهم لم نسأل يوما عن أصلهم، فقط قلنا أنهم مشردون من القرى الأخرى امتهنوا السرقة، دون أدنى دليل على هذا". ضحك ياسر -الزعيم- ثم قال: "سيوقفون إطلاق النار إذا ظنوا أننا متنا، وسيأتون إلينا ليتأكدوا من ذالك، حينها سنقبض عليهم". تهلل وجه الجميع من الفكرة وهم يقولون: "لم نقبض على أحدهم حيا من قبل، سيكون الأمر ممتعا". تفرق الرجال زحفا مبتعدين عن بعضهم حتى شكلوا دائرة كبيرة، كل واحد ينظر باتجاه الرصاص، ثم أطلقوا رصاصات مرتفعة عن الأرض حتى يظن العدو أنهم لا يجيدون التصويب وهم منبطحون، ثم وقفوا على التوالي واحد واحدا، يقف الأول ثم يسقط مباشرة كأن رصاصة أصابته ثم الثاني يفعل نفس الشيء وهكذا، الأمر فيه خطورة ولكنهم جازفوا، لو أصابة رصاصة أحدهم في تلك الثانيتين التي يقف فيها فسيكون في مأزق، هم 11 رجلا ويحتاجون فقط ل3 رجال أو 4 يتظاهرون بالإصابة دون أن يصابوا. عندما وقف الجميع وتظاهروا بالسقوط كان لدينا مصابان، الأول أصيب في قدمه والثاني في بطنه، ينظر إليهم الزعيم -ياسر-

قائلا: "يجب أن تبقوا مستيقظين حتى تنطلي الخدعة عليهم. اصبروا يا رجال". رمى أحدهم قماشة لذالك المصاب في بطنه فوضعها على مكان الجرح وضغط بكلتا يديه ليوقف نزيف الدم. كان الذين يرمون الرصاص علينا بعيدين ب200 متر وعددهم 5 رجال فأتوا بخطى حذرة نحونا ونحن نمثل أننا ميتون، عندما وصلوا رأو المصابان يتألمان في مكانهما، أشار رجلان منهم بالسلاح نحوهما قائلين: "موتا أيها الإرهبيان الوضيعان". نهض الرجال من أماكنهم مسرعين وهم يصوبون أسلحتهم نحو الرجال الخمسة والزعيم يصرخ فيهم: "توقفوا، نحن أكثر منكم عددا، ضعوا أسلحتكم أرضا". ما كان منهم إلا أن رضخوا لكلامه، حينها أركعوهم على الأرض وياسر -الزعيم- يتحدث معهم:

-أنتم مِن أيّ قرية؟

-من الجهة الغربية، تبعد عن هنا ب2 كلم.

-وما هي إشارتكم؟ وكيف نتأكد أنكم لستم إرهابيين؟

نظر الرجال نحونا متعجبين من السؤال ثم قال قائدهم:

-أولستم إرهابا؟

-لا، كنا سنقتلكم لأننا ظننا نفس الشيء لولا هذا الفتى الذي تراه هناك.

-لماذا؟ ومالذي ستفعلونه بنا؟

-نريد التحقق من شيء أشار إليه هذا الصغير، وهو أن الإرهاب موجود فقط في عقولنا، نحن نقتل بعضنا البعض منذ سنوات ولم نعرف الحقيقة إلّا اليوم وهذا بسبب علاقات القرى المتوترة.

-كيف سيصدقوننا؟ الآن نحن نعرف الحقيقة فكيف سنشاركها معهم؟

-تعالوا إلى قريتنا اليوم فأنتم ضيوفنا، وسنفكر في الأمر معا.

أشاح الرجال أسلحتهم عنهم وجردوهم من أسلحتهم ثم ذهبنا مع بعضنا البعض نحو قريتنا. قبل هذا؛ عندما وقف الرجال رآني أحدهم فقال: "العباس! أخيرا وجدتك". ارتعبت وتصلبت في مكاني، الذي يعرفني في هذا العالم لا يغادر أن يكون أحد اثنين: (إما أحد الضحايا الخمسة عشر أو أحد دخل معي الاختبار) وهذا الاحتمال الأخير بعيد الحدوث، أجبته والعرق يتصبب من جبهتي: "من أنت؟" فأجاب فرحا:

-أنا شاهين.

-اااه تذكرتك، أنت شاهين الذي كلفت بمهمة تبديل الرهائن.

-أنت كنت فاقدا للوعي حينها فكيف عرفتني؟

-رأيت كل ذالك في حلم قبل يومين؛ رأيت كل الشخصيات التي لها علاقة بي، ولكني أنسى الوجوه أحيانا كما ترى.

واصلنا المسير إلى القرية (أ) ونحن نتحدث، رد شاهين على كلامي الأخير قائلا: "المهم أنني دخلت هذا العالم معك لأني كنت أمسك بك" صمت قليلا فأكملت في مكانه:

-كنت تريد التأكد من أنني ڤولدن العقد أم لا.

-كيف عرفت؟

-ألم أقل لك أني رأيت كل شيء في حلم! زهرة ابنة خالي أصيبت بطلق ناري وهي في المستشفى وجميع الضحايا رأيت لحظات موتهم في ذالك الحلم.

-ماذا يكون هذا العالم؟ أين نحن؟

-القصة تطول جدا، الحكاية ليست ڤولدن ووحوش فقط كما تعتقد، المهم أننا هنا يجب أن نمنع حدوث شيء حدث في العالم الحقيقي في الماضي السحيق، هناك بوابات خرجت منها تلك الوحوش ويجب علينا تصحيح الماضي، هذا هو هدفنا هنا.

-رغم أني لم أفهم تماما ولكن كيف سنعرف مكان هذه البوابة؟

-هذا سؤال ليست لدي إجابة عنه.

-حسنا، فلنصل إلى القرية ولكل حادث حديث.

دخلنا القرية مع العصر فاجتمع الناس حولنا وحكى لهم ياسر كل شيء وتمت إعادة الرجال إلى قريتهم بعد الاتفاق على طريقة لاقناع القرى بعدم وجود إرهاب، هذه الطريقة تتلخص في ما يلي:

(المسافة بين القرى 2 كلم ومسافة التمشيط التي كان يقطعها الحراس بحثا عن الارهاب هي 2 كلم، يعني أنهم كانوا يلتقون ويهاجمون بعضهم البعض،

والطريقة تكمن في تقليص مسافة التمشيط إلى 200 متر خارج القرى لا غير، وبعد شهر سيرون أن لا إرهاب موجود سوى في مخيلتهم)

عاد الرجال إلا شاهين بقي معي في القرية، كنا جالسَين قرب منزل باسل على قارعة الطريق نتبادل أطراف الحديث، قال لي متعجبا:

-شاهين: رأيتك في الاختبار الماضي ولكن شيئا ما كان يكبلني، كنت محبوسا في جسد ليس لي، أردت إخبارك ولكني لم أستطع.

-أنا: في الاختبار الماضي كنت موجودا؟ في أي جسد؟

-شاهين: في جسد المدعو باسم، أردت الحديث معك ولكن نينيا أخذتك، لم أستطع الرد حينها لأني كنت مسلوب الإرادة جزئيا.

-أنا: ياللعجب! والآن عاد إليك جسدك!

-شاهين: لست أدري أهذا العالم حقيقي أم مجرد حلم.. الآن وجدت نفسي في قرية ملقى على العشب، رآني سكانها فقالوا عني أجنبي؛ كانوا مسلحين وأرادوا تكبيلي ولكني أخذت السلاح من أحدهم وصوبته نحو رأسه، رأوا مهارتي في حمل البندقية فطلبوا مني الانضمام لهم بهذه البساطة، لو كنا في العالم الواقعي لما حصل هذا، بعد أن خرجنا في مهمة تمشيطية وجدناكم.

-أنا: قصة طويلة إذن، الآن إليك ما حصل معي: أخفقت في الاختبار الماضي وماتت نينيا والآن تم اختطاف الأطفال من هذه القرية قبل شهر، ورأيتهم في القرية المجاورة محبوسين في منزل أحدهم بعد أن تم اختطافي أنا أيضا ولكني نجحت في الهرب ثم عدت في ما بعد ومعي الرجال فلم نجدهم، العامل المشترك بين الاختبارين هو اختطاف الأطفال، وإن صدق حدسي فهم يأخذونهم عبر العوالم كي يستطيعوا فتح بوابة الطفل؛ وأظنها هنا في هذه القرية.

-شاهين: لم تُفهمني في هذه الجزئية، كيف تفتح البوابة؟

-أنا: دم قربان يسيل على الشاهد يكفي لفتحها، ولو قطرة واحدة.

-شاهين: وماذا يحصل للقربان بعدها؟

-أنا: يقتله الوحش الذي يخرج من البوابة.

-شاهين: هذا فظيع، أسطورة الڤولدن كانت صحيحة إذن، هكذا استطاعت الوحوش القدوم إلى عالمنا. صمت قليلا ثم أردف: -شاهين: سأعترف لك بشيء وأرجو أن لا تغضب.

-أنا: أعرف، أردت قتلي لو تبين لك أني ڤولدن، هذا رأيته في الحلم.

-شاهين: حسنا؛ هذا يعني أنك تتذكر وجوه الأشخاص كلهم.

-أنا: قلت لك أن ذاكرتي في الوجوه ضعيفة.

مر رجل من قربنا، رجل أربعيني يحمل سكينا تحت قميصه. أمعن شاهين النظر فيه ثم قال:

-شاهين: أليس هذا أحد الضحايا الخمسة عشر؟

-أنا: من أين تعرف وجوه الضحايا؟

-شاهين: أنا من منظمة البوراي فلا تستهن بي، رأيت وجوههم كلهم ويستحيل أن تفوتني هذه الجزئية، هذا الرجل هو الضحية التي كانت تمارس السحر، إنه زكريا سعداوي.

قمت مسرعا من مكاني وأنا أقول لشاهين: "تعال لنلحق به، سأشرح لك في ما بعد." تركنا 60 مترا بيننا وبينه كي لا يلحظ أن أحدا يلاحقه. قلت لشاهين: "فارق العمر بين ذاته الآن وذاته في العالم الحقيقي هو ما جعلني لا أتبينه، أحسست بشيء غريب عند رؤيتي له من قبل ولم أدر ما هو، هذا السعداوي إذن. هكذا اتضحت أمور كثيرة". كان شاهين ينظر إلي باستغراب

دون أن يلفظ كلمة.. وصل سعداوي إلى المرقد الذي كنت أقيم فيه، العجوز تنتظره أمام الباب، تحدثا قليلا ثم دخل ودخلت خلفه، قال شاهين: "فلنلحق بهم"، أمسكته من ذراعه قائلا:

-أنا: هذه ليست عملية عسكرية تقوم بها.

-شاهين: أعرف كيف سأتصرف.

-أنا: لا، أنت لا تعرف شيئا، كيف تقدم على أمر دون أن تدرسه؟!

عض شاهين طرف شفته كاظما غيظه، ثم قال:

-شاهين: قل مالذي أردت شرحه لي.

-أنا: حسنا. (حكيت له قصة القولدن وحارسه والبنود الثلاثة وشروط دخول الامتحان وكل التفاصيل)

خرج السعداوي من المرقد بعد أن أنهيت كلامي فقال شاهين: "هل نتبعه؟" أجبته دون تردد: "لا، دعه، لدي فكرة أهم"

دخلت مع شاهين النزل فوجدت العجوز عند الباب فطلبت منها حجز غرفة لشاهين فأجابت:

-يمكنه النوم معك على الأرض بدون دفع شيء.

-لا، سأحجز غرفة أخرى لليلة واحدة.

ذهبنا على طول الرواق حتى وصلنا إلى الغرفة رقم 9، إنها مقابلة لغرفتي. فتحنا الباب فوجدناها طبق الأصل لغرفتي، كلهم متشابهون على ما يبدو. جلس هو على طرف السرير وأنا جلست على الكرسي، قال لي بعد أن قام يغلق الباب:

-ماهي خطتك؟

-أخبرتك عن الهواري سابقا، اذن ركز معي الآن؛ البارحة التقيت به فقال لي أن هناك بعض الجن يجوبون القريتين، وبالأمس قام أحدهم بخطفي وحبسي في منزل السعداوي.

-شاهين: هل تلمح إلى أنه أحد أتباع السعداوي بما أنه كان ساحرا؟

-أنا: بالطبع، وبما أننا لم نجد شيئا في منزله فهذا يعني أنه أخفاهم بواسطة السحر.

-شاهين: وماذا عسانا نفعل إذن! مادام مسلحا بالجن فلن نقدر عليه.

-أنا: قلت لك ركز معي، أخبرتك من قبل أن القولدن لديه مناعة من الجن مادام لم يبلغ سن ال15، لم أعلم أنه جني لهذا السبب أيضاً فأنا لا أراهم على حقيقتهم قبل ذالك العمر، وإلا لكنت هربت ومعي الأطفال لأنه لن يستطيع أذيتي.

-شاهين: إذن فالسعداوي لم يكن موجودا في منزله حين قبض عليك الجني؟

-نعم، خطتي الآن هي أن أذهب أنا إلى منزل السعداوي هذا وأحل معه المشكلة وجها لوجه.

-شاهين: هذه مخاطرة، سيقتلك بمفرده، أنت صغير السن الآن ولست بمهارتك.

-لن يحدث لي شيء، حتى ولو كنت على وشك الموت فسيظهر الهواري ويساعدني، ألم يساعدني في حوادث كان الموت فيها وشيكا؟

-شاهين: وماذا سأفعل أنا؟ هل سأبقى أنتظر قدومك؟

-نعم ستبقى هنا، لن تنتظرني أنا وإنما السعداوي. هناك احتمال كبير أنني لن أجده في منزله وحينها سيأتي إلى هنا، وستكتشف لماذا يخطط هو والعجوز.

-حسنا، تبقى لدي سؤال. أليس من المفترض أن تهتم بالبحث عن البوابة فلماذا أنت منشغل بهؤلاء الأطفال؟

-في الاختبار الماضي كان ضياء أداة عندهم وأظن أن السعداوي يخدمهم أيضاً، وكان ضياء يخطف الأطفال، والسعداوي يفعل الشيء نفسه؛ وأظن أن لهذا علاقة ببوابة الطفل. وآخرا فقد قطعت وعدا لأحدهم وسأفي به.[24]

انطلقت الى القرية (ب) مسرعا بعد أن حل الظلام، أهل القرية (أ) يملؤون الشارع على غير العادة، بعد أن تفندت خرافة الإرهاب أحسوا بالأمان. دخلت القرية (ب) وهناك بعض الناس هنا وهناك، عكس الأمس حين كان الشارع خاويا إلا من ال3 الجن. قصدت باب منزل السعداوي فطرقته، منزل عادي وقرية عادية ولا تطلبوا مني الغوص في الوصف كما يفعل أصحاب الروايات فأنا في وضع حرج لا يسمح بتمعن الموجودات. المهم أنني بعد 3 طرقات انفتح لي الباب كاشفا عن وجه الرجل الذي كبل يدي بالأمس، هل جربت شعور أن يقف أمامك رجل أنت تعلم تمام العلم أنه من الجن! الأمر بات مقرفا بعد أن رأيت أنواع الجن والوحوش، نفس الرعب ونفس الخوف وكأنك تراهم لأول مرة، المهم أنني كنت حاملا بندقية شاهين معي فصوبتها تجاهه. ضحك بهستيرية كأنه يسخر مني. اختفى فجأة وظهر خلفي ممسكا البندقية من الخلف يخنقني بها. هو يعلم أني عدت لانقاذ

[24] يقصد وعده لباسل

الأطفال ويعلم أنني قولدن لأن سيده السعداوي رآني من قبل وهو يعرفني تمام المعرفة وإلا لما صار ضحية من الضحايا ال15.

أراكم تقولون: "مادام الجني يعلم أنك قولدن فهو يعلم أنه لا يستطيع أذيتك، فمن أين أتته الجرأة؟". طيب، هذا الجني يعلم أني قولدن ويظن أني لا أعلم أنه جني ولا أعلم بشأن حقيقتي، الأمر معقد بعض الشيء ويحتاج الى تركيز كي تفهمه، المهم أنني حسبت حساب كل شيء لذالك أتيت ومعي بندقية شاهين، هذا كي يمسك الجن بي ويضعني مع الأطفال المحتجزين، وهذا تماما ما حصل. أحكم وثاقي هذه المرة كي لا أهرب وأدخلني الغرفة الأولى نفسها، انها فارغة للأسف، رماني داخلها فأحسست كأني اجتزت حاجزا، سقطت على وجهي وعندما رفعته وإذ بي أمام الأطفال، حالتهم أفضل من الأمس، لما رأوني حبوا نحوي جميعهم يقولون: "العباس، العباس" -أخبرتهم باسمي من قبل- اطمأننت على حالهم ثم سألتهم: "أين أخذكم هذا الرجل بعد أن رحلت عنكم بالأمس؟" فأجابت أكبرهم وهي نداء التي تصغرني بعامين: "لم يأخذنا الى أي مكان، بعد أن رحلت أتى رجل اخر ثم تحدثا عن موعد نقلنا من هنا ثم أخبره أنك هربت فقام بإخراج كتاب من سترته وقرأ بعض الكلام غير المفهوم ثم واصلا الحديث في الغرفة الأخرى، لم نكن نسمع شيئا بعد تلك التمتمات، حتى أنكم عندما قدمتم رأيناكم فصرخنا وصرخنا ولكنكم لا تسمعوننا ولا ترونا".

تبا لهذا السعداوي لقد عانى الأطفال فوق ما يتحملون بسببه. فككت رباط يدي بعد عناء طويل؛ ثم رباط الأولاد جميعهم. مسحت على رأس باسل وقلت مبتسما: "سأخرجكم من هنا"؛ أخذت الحبل الذي كنت مربوطا به وربطته بحجر كبير في طرفه ثم رميته إلى النافذة المكسورة، فانحبس الحجر في ثقب النافذة وتدلى طرفه الآخر مع الجدار. تسلقت الحبل لأرى إن كنت أستطيع الخروج من النافذة فوجدتها مقفولة الجانب، أصبحتْ كمشكاة في جدار. لا أمل في الخروج من هنا، فكرت برهة ثم خطرت ببالي فكرة. شكلت عقدة بطرف الحبل المنسدل وأدخلت رأسي من خلالها. تماما مثلما يفعل المنتحرون؛ صرخ الأطفال: "توقف، مالذي تفعله؟"، تركتُ الجاذبية تتكفل بالباقي، وريدي يزداد انضغاطا وقصبتي الهوائية انسدت ووعيي بدأ يفر مني، عندما أحسست أن الموت دنا مني انقطع الحبل بفعل فاعل، أسعل وأسعل محاولا إعادة الهواء الذي فاتني. نظرت أمامي فوجدته الهواري واقفا هناك ثم اختفى تماما كما ظهر، أمسكت يد ياسر وقلت لهم: "فليأخذ كل واحد بيد رفيقه بأقصى قوة لديه" ثم ركضت نحو الباب مسرعا. اختفى الحاجز الغير مرئي ذاك، لم أره ولكن كنت متأكداً أنه اختفى لأن هواري دخل من خلاله وأنقذني من الموت.. تخيل أنه جدار غير مرئي لا تستطيع تجاوزه، تستطيع دخوله ولكن الخروج مستحيل إلا إذا تحطم من الداخل. وهذا ما فعله هواري عند خروجه بعد إنقاذي. حسبت حسابها لذالك جازفت

بنفسي ومثلت أني أنتحر، أعلم أن هواري لا يظهر لي إلا في الأصفار الأربعة أو عند موت وشيك.

فتحت الباب مسرعا وأخرجت الأولاد، مع آخر ولد خرج من المنزل ظهر ذالك الجني أمامي قائلا: "أعدهم وإلا قتلتهم". حسبت حسابا لكل شيء إلا هذه، الجن لا تستطيع أذيتي ولكنها تستطيع أذية البشر الآخرين. ماذا أفعل؟ حياة الأطفال في خطر. تذكرت شيئا؛ فكرة عادت إلى رأسي وهي أنني رأيت في الحلم كل شيء، الجن لا تقتل البشر الأبرياء إلا إذا كانوا قربانا لجانب النجوم، هكذا ورد في كتاب المعرفة الذي قرأه يحيى، قلت له بنبرة واثقة: "ستموت لو قتلت بشريا، هذا كان اتفاقكم مع الوحوش"، بدا عليه الخوف، أول مرة أرى جنيا خائفا. تراجع خطوتين إلى الوراء ثم اختفى، كان يريد إخافتي لأطيعه، ظن أني لا أعرف حكاية الثولدن والبوابات.

المهم أنني بعدما خرجت وجدت الناس مجتمعين عند المنزل، تذكرت شيئا فعدت إلى الداخل، ولجت الغرفة التي كان يدخلها السعداوي فوجدت أوراقا صفراء ورائحة كبريت تعم المكان، بحثت عن شيء كنت متأكدا من وجوده، كتاب المعرفة الذي أخذه السعداوي من إليزي لابد أنه معه في هذا العالم، في النهاية لم أجد إلا ورقة مكتوبة بخط يده، أظنه نقلها من الكتاب، مكتوب فيها:

فصل النار الحارقة:

"النار الحارقة هي زعيمة جانب النجوم، وضعت بنودا ثلاثة ذهبية وأمرت بالالتزام بها حتى لو كلف ذالك موت سكان جانب النجوم، لديها جيش مكون من شتى أنواع الوحوش، وقائدهم الذي عينته لتمثيل جانب النجوم في المعاهدة السرية هو الكونت دراكولا. وضعته هو والعفريت الأكبر على طاولة الاتفاق كي تضمن أكبر متعة قبل أن تفتح البوابة الأخيرة."

هذا جزء من أجزاء كتاب المعرفة، فصل النار الحارقة الذي احترق بين يدي يحيى قبل أن يكمل قراءته، هناك سر واحد لم يعلمه أحد حتى الآن أو ربما هناك واحد، فصل الاختبار النهائي من كتاب المعرفة لم يقرأه أحد سوى لبنى زوجة خالي.. بينما كنت أفكر قاطعني صوت صراخ الناس في الخارج، هرعت مسرعا لأرى فوجدت بوابة بعدية قد فتحت، بوابة مثل تلك التي سحبت العفريت إلى عالم مجهول. ليست إحدى البوابات السبعة، هذا مطمئن، ولكن المشكلة هي أنها تسحب الأطفال من بين الناس واحدا واحدا. نظرت يمنة ويسرة لعلي أبصر باسل أو نداء، بصعوبة وجدتهما بين الحشد المنتشر يحاولان الهرب بعيدا. أسرعت إليهما حتى أمسكت بيديهما وأسرعت متجها نحو القرية، أظن أن الجن هي من كانت تسحب الأولاد نحو البوابة تلك، لست متأكدا، المهم أننا ابتعدنا عن القرية (ب) بأمان دون أن يلاحقنا

أحد، وصلنا إلى قريتنا بعد جري طويل، بالكاد نلتقط أنفاسنا، الناس يجوبون الشارع كما تركتهم، ما إن رأونا حتى اجتمعوا كلهم، قال أحدهم صارخا: "إنهما طفلا ياسر؛ نادوه بسرعة".. أكملنا المسير نحو منزلهما والحشد الغفير ينظر إلينا، انفتح باب منزلهم وظهر ياسر متعجبا من الضجة الحاصلة؛ تحول تعجبه إلى صدمة وفرح عندما رأى طفليه يسيران إليه، ركض إليهما وعانقهما أشد عناق، حتى إن دموع الفرح تنهمر من عينيه. قال لهمابصوت مبحوح: "ادخلا إلى أمكما فقلبها منفطر عليكما"، ركضا إلى الداخل كالحملين الوديعين، قام ياسر بعد ذالك من مكانه وهو ينظر إلى الناس فسألهم: "ماذا حصل"، التفتوا جميعا نحوي ففهم ما يقصدون فقال: "تعال يا بني" وفتح يديه يريد عناقي فذهبت إليه... قال لي بعد أن تفرق الناس:

-أين وجدتهما؟

-في نفس المنزل، صاحب المنزل ساحر واستطاع اخفاءهم عنا.

-أعرف ذالك الرجل، إنه يرتاد مرقد العجوز.

-رأيته، لابد أنها متورطة معه.

-فلنذهب إلى هناك لعلنا نجد شيئا.

مشينا مهرولين نحو المرقد، تركت شاهين هناك ليعرف ما يخفيه السعداوي، راودني الآن شعور بأنني أخطأت في قراري هذا. خطتي كلها بنيتها على أساس أن البوابة تحتمل أن تكون بوابة الطفل نظرا لاختطاف الأطفال، ولكني لم أضع احتمال بوابة أخرى، أرجو أن لا أندم على ذالك. دخلنا النزل فلم نجد أحدا في الاستقبال، صرخت بأعلى صوت: "شاااهين". انفتح باب أحد الغرف ليطل علينا شاهين قائلا: "أنا هنا، لماذا تصرخ؟" تنفست الصعداء ثم قلت: "هل أتى السعداوي إلى هنا؟" "لا"... كان ياسر غاضبا ويريد الانتقام من ذالك السعداوي، قال أنه سيبقى معنا هنا قليلا لعله يأتي. دخلنا غرفتي؛ أنا وشاهين جالسين على السرير وياسر على الكرسي، لما رأوا أوراقي الموضوعة على الطاولة سألوني: "ما هذه الأوراق؟" أخبرتهم أنها قصة من نسج خيالي، هكذا كي لا يعرف ياسر أنني ڤولدن، لست أدري ان كانت البنود الثلاثة الذهبية[25] سارية المفعول في هذا العالم أم لا.. بالمصادفة حمل ياسر الورقة التي كانت تحكي عن الضحايا ال15، نظر إلي بتعجب وقال: "لماذا إسمي واسم زوجتي موجودان هنا؟ هل تعرفنا من قبل؟".. لماذا لم أنتبه لهذه النقطة؟ الضحيتان الثالثة والرابعة كان اسمهما ياسر وبلسم، أجبته أنني كتبت هذه الورقة بعد أن تعرفت عليهما، أكملَ قرائتها وضحك ثم قال: "لديك مخيلة واسعة يا فتى"، أعاد الورقة إلى

[25] عد للجزء الثاني من الرواية تجد فيه البنود الثلاثة

مكانها ثم أردف: "سأترككما الآن، إن أتى ذالك الرجل فاقبضا عليه وناديانني".. أقفل الباب خلفه ثم رحل، قال شاهين:

-لم أتمعن في وجهه من قبل وإلا لكنت عرفت حقيقته.

-نعم، الاختبار الماضي كان فيه ضياء والآن زكريا السعداوي وياسر وبلسم؛ العجيب أنهما لا يخدمان الوحوش مثل السعداوي، هل لهذا علاقة بأن أخ بلسم - يحيى- ڤولدن؟

-لا أظن ذالك، السؤال الأهم الآن: أين البوابة؟

كنت شارد الذهن فلم أردّ على سؤاله، هزني بيده قائلا:

-أين ذهب عقلك؟

-أنا لم أشأ إخباره بالحقيقة كاملة خشية أن يصير قربانا، ولكن أنت تعرف كل شيء ولم تصبح قربانا!

-هذا يعني أن القواعد الثلاثة أبطلت.

-وأيضا لماذا في الاختبار الماضي كنت في جسد غير جسدك والآن أنت بكامل إرادتك!

-هذا سؤال لا أعرف إجابته، ربما بعد أن أخفقتَ أنت في الاختبار سُمح لي بمساعدتك.

-هذه أجوبة منطقية، رغم هذا فلنأخذ حذرنا.

سحبت ورقة من محفظتي ورحت أكتب: "لدينا 5 بوابات يحتمل أن نصادفها وهي (الشاب والكهل والطفل والمجنون والحيوان) هذان الأخيران مستبعدان لأن لا حيوان في هذه القرية إلا لو خارجها، وأيضا فالقربان يكون ظاهرا في الأحداث الجارية، أما المجنون فجميع سكان القرية أصحاء عقليا، هكذا تتبقى لنا 3 احتمالات، نظرت إلى شاهين سائلا إياه:

-كم عمرك؟

26-

-هناك احتمال أن تكون أنت قربانا لبوابة الشاب، فلا شاب غيرك هنا.

-حسنا، سأبقى حذرا.

-هكذا تتبقى بوابتان (الكهل والطفل)، إما أن يكون إحدى الطفلين (باسل أو نداء) وإما أن يكون كهلا ك (ياسر أو السعداوي نفسه).

-جيد، هكذا أصبح لدينا 4 أشخاص لنحميهم، رغم أني متحفظ بشأن السعداوي، لو نتركه ليصير قربانا أفضل.

ضحكت من كلامه ثم قلت:

-ولا تنس نفسك، اسمع. سنقلص الخطر بخطوة جريئة.

-سأرحل من هنا ومعي الولدان.

-بالطبع، لن يقبل ياسر أن يغادر القرية لذالك اختطف أنت الولدان واهرب إلى أبعد قرية تستطيع الوصول إليها.

-لكن من سيعيدهما عندما نختفي نحن من هذا العالم؟

طرق أحدهم باب غرفتي فقفزنا فزعين، ذهب شاهين خلف الباب حاملا معه حجرا كان موضوعا في الزاوية وفتح الباب ببطء وهم بالحجر يهوي به على رأس الشخص، ما إن رأيت من حتى صرختُ: "توقف". كان الطارق امرأة في الثلاثينات، إنها لبنى زوجة خالي؛ وضع شاهين الحجر على الأرض وقال: "من أنت؟" فأجبته: "إنها زوجة خالي فدعها تدخل". جلست على الكرسي قائلة: "سمعت معظم حديثكما، سأتكفل بإعادة الطفلين إلى منزلهما بعد أن ترحلا فلا تقلق، عليك الذهاب الآن وتنفيذ الخطة". نظر إلي شاهين وفهم ثم قال: "وداعا أيها العباس، ربما نلتقي في اختبار آخر وربما لا، حاول النجاح بكل ما لديك". عانقني ثم رحل.. قالت لبنى بعد ذالك: "أتمنى أن ينجح في الهرب". عدلت جلستي ثم قلت:

-كيف استطعت الهرب من الارهاب في أدرار؟ دخلت بيتكم ولم أجد جثتك.

-أنا هنا لأمر أهم من هذا، أتيت أخبرك بقواعد الاختبار الذي أنت فيه.

-نسيت هذا، كنت أنت القولدن الوحيد الذي قرأ كتاب المعرفة وهو في حالة حرجة.

-نعم، لو قرأتَ القواعد لكنت انتحرت قبل أن تفكر في الدخول إلى هنا.

-فات الأوان الآن أخبريني القواعد.

-حسنا، سأحكي لك كل شيء. كتاب المعرفة هو مجموعة أوراق جمعت لتشكل كتابا، أوراق معاهدة جانب النجوم مع الجن، وأوراق كتبتها النار الحارقة، جميع الأوراق كتبت بعد فتح البوابات السبع، ولأن القولدن شيء نادر وليس كالعناصر الأخرى قررت النار الحارقة وضع قواعد لتتسلى، يبدو الأمر جنونيا ولكنها أرادت شيئا نادرا يكون في مستوى القولدن، هذا الكتاب يحوي فصلا بعنوان "الاختبار النهائي"، وهذا الفصل يجعل الكتاب يشع كلما اقترب منه قولدن، قرأت ذالك الفصل فقد كان يحوي شرطان و 20 قاعدة أو بندا لا يسمح بتخطيه. اخر قاعدة تم شطبها من الكتاب بواسطة الوحوش، كلفهم شطبها موت 100 وحش. حتى أنا لا أعرفها.

فصل الاختبار النهائي:

الشروط:

أن يكون القولدن في حالة حرجة.

أن يريد القولدن ذالك.

قواعد الاختبار:

-من يلمس القولدن عند الدخول يدخل معه.

-على الممتحن أن يمنع فتح 4 بوابات جانب نجوم فأكثر.

-يجري الامتحان بين الممتحنين والوحوش.

-الوحوش لا يسمح لها بالتدخل المباشر في فتح البوابات.

-يجري الامتحان في عوالم موازية كالأحلام.

-الحالة الطبيعية لهذه العوالم هي انفتاح البوابات، وأي تعديل على الحالة الطبيعية يخلق اضطرابا في العوالم يجعل بوابات بعدية تنفتح عشوائيا.

-أول اختبار يخوضه القولدن يكون فيه فاقدا للذاكرة وعليه العمل على استعادتها.

-في الاختبار الأول لا توجد أية وحوش لأن البوابات لم تفتح بعد

-ترتيب البوابات عشوائي ومكانها أيضا.

-لكل بوابة شاهد، تنفتح البوابة اذا لامس دم القربان هذا الشاهد، وعلى القولدن تحطيمه لمنع انفتاح البوابة الى الأبد.

-كل بوابة تفتح تخرج منها بعض الوحوش.

-لا تتدخل النار الحارقة في الامتحان بأي شكل.

-أي وحش أو ممتحن يقوم بفتح بو ابة بعدية ينتهي أمره.

-اذا مات القولدن ينتهي الاختبار.

-اذا نجح القولدن في منع بوابة يموت كل وحش في ذاك العالم، لأنه رسب في مهمته وهي فتح البوابة.

-البندان الذهبيان غير ساريي المفعول.

-معارفك هنا تصبح قرابين لبوابة القولدن الغير موجودة.

-اذا نجح الممتحن في الامتحان تختفي البوابات من العالم الحقيقي، واذا رسب يبقى رأسه تذكارا للعالم الحقيقي.

-الاختبار يحصل في أقل من عشر عشر رمشة عين بالنسبة للعالم الحقيقي.

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX-

ما إن أكملت حديثها حتى انفتحت بوابة بعدية من خلفها سحبتها، تماما مثلما حدث مع العفريت، من سيعيد الطفلين الآن؟

بعد ذالك سمعت صوت خطوات على طول الرواق، ظننته السعداوي ففتحت الباب مسرعا، نظرت فوجدتها العجوز تلك، قلت لها:

-عرفت حقيقة ذالك الرجل، اسمه زكريا السعداوي وهو ساحر، فمن تكونين أنت؟

-أنا أحد مردته، وأصلا فالنزل هذا يعود إليه.

-مالذي ستفعلينه الآن؟

ظهر السعداوي من آخر الرواق قائلا: "أرسلت أتباعي ليعودوا بالطفلين وذالك الشاب، لن يفلتوا من قبضتي".. انفتحت بوابة أمام الغرفة 5 وظهر منها العفريت الأكبر، أفضل مصادفة حصلت في حياتي، قال بصوت واثق بعد أن اختفى بلمح البصر ثم عاد مباشرة: "قضيت على أتباعك أؤلئك، استسلم الآن".. كانت العجوز قد ركعت على ركبتها بمجرد أن ظهر، صرخ عليها السعداوي: "ماذا تفعلين؟ قومي واقتليه". ردت عليه ورأسها مطأطأ إلى

الأرض: "هذا زعيمنا، لن أتجرأ على عصيانه". هنا دخل ياسر المرقد ببندقية ووجد السعداوي واقفا فأطلق النار عليه فأرداه قتيلا، في هذه اللحظة اختفت العجوز ثم ظهرت تلك البوابة البعدية مجددا ساحبة العفريت إلى داخلها، قال لي ياسر: "سمعت صوته فأتيت مسرعا، لحسن الحظ كان سلاحي بحوزتي". ركضت مسرعا ساحبا إياه من يده فانصاع إلي وخرجنا من المرقد مسرعين، عندما ابتعدنا قلت له: "سأعود، لا تتبعني، أريد التأكد من شيء".. عدت إلى المرقد وكلام جميلة في الحلم يتردد في رأسي: "البوابة بجانبك". رحت أفتح الغرف واحدة واحدة حتى وصلت إلى الغرفة رقم 5، فتحتها فوجدتها فارغة من السرير والكرسي، تحوي فقط خزانة مغلقة، فتحت الخزانة وإذ بباب كبير داخلها، كأنه باب من جحيم، يكاد يغمى علي من شدة الرعب الذي يحمله هذا الباب، أغلقت الخزانة ورحت ألتقط أنفاسي بصعوبة، كانت البوابة بجانبي طوال هذا الوقت. حسنا، وجدت البوابة فأين الشاهد؟ يكون الشاهد شيئا مركزيا في القصة وعليك تحطيمه لتمنع انفتاح البوابة إلى الأبد، فلأفكر الآن، الشاهد لن يكون خارج هذا النزل، مالشيء الذي بسببه أنا هنا؟ العجوز؟ أم الأطفال؟ أم المرقد بحد ذاته؟ ولا أية واحدة يمكن أن تكون شاهدا. كنت قد حجزت 3 أيام وهذا هو اليوم الثالث لي هنا، لم أخض هذه التجربة إلا بسبب بقائي هنا، هل غرفتي هي الشاهد؟ دخلت غرفتي حاملا فأسا كان موضوعا قرب باب المرقد، حطمت به الكرسي والسرير والخزانة والطاولة، التعب نال مني بسبب هذا

ولم يحصل شيء، الشاهد لم يكن في غرفتي، خرجت مسرعا والخوف يلتهم عظامي من أن يحصل شيء، تنفست بهدوء لأريح عقلي ثم تذكرت شيئا، إن لم تكن غرفتي فذاك الكراس الذي تكتب فيه العجوز أسماء المقيمين هو الشاهد، أسرعت إليه وإذ بوحش التابوت يقف بجانبه، تابوت خشبي، تكاد تظنه منحوتا لولا عيناه الآدميتان، يداه مضمومتان إلى صدره كالتمثال الفرعوني تماما، الكراس يحلق بجانب وجهه، أظنه يرفعه بعينيه لأن الضوء الأحمر يشع منهما، قال بصوته المعتاد:

-أفسدت خطتي لفتح البوابة واستطعت إبعاد القربان عن هذا الشاهد، لا أقدر على التدخل المباشر في الاختبار لذالك لقد هزمتني بعد أن قضيت على تابعي السعداوي؛ ورغم هذا فلدي خطة احتياطية.

انفتحت بوابة بعدية بجانبه فقلت له: "ستموت هكذا، إن فتح أحد ما بوابة بعدية يقضى عليه" فقال وكأنه غير مبال: "لا يهم، المهم أن نسبقك بخطوة دائما".. رمى الكراس داخل البوابة، ونار عظيمة اندلعت في طرف الوحش، راح يتلاشى شيئا فشيئا حتى اختفى واختفت معه البوابة تلك ثم اختفت الموجودات من حولي.

الفصل الثالث:

تضحية من ضحية.

ضجيج السيارات وصراخ الناس وصوت خطى الأقدام، كلها أشياء تدل على أنني في مدينة. فتحت عيني ببطء فضوء النهار يضرها، عظامي تشتكي كأني كنت في ماراتون. استيقظت تماما بعد عناء طويل مع الكسل، أين أنا؟ أنا في غرفة كبيرة، سرير فخم وتلفاز وهاتف على الطاولة وديكور آخر صيحة، نزلت من السرير أجرّ قدمي نحو الباب ذاك؛ فتحته فوجدت الحمام والمرحاض خلفه، أدوات حلاقة وتنظيف، أغلقت الباب ثم بقيت أتفقد الغرفة، أسير مع الجدران حتى صادفت يومية مكتوب عليها 27 2029 .novembre رفعت عيناي للأعلى قليلا فوجدت صورت لمَعلم ما مكتوب بجانبها ،Washington إما أنني في واشنطن الأمريكية أو أن اليومية صنعت في أمريكا، سأكتشف ذالك عما قريب.

بعد أن أنهيت البحث في الغرفة وجدت كراسا مكتوب فيه إسمي فقمت بتمزيقه، أغلب الظن أنه الشاهد الذي رماه الوحش في بوابة بعدية، لحسن حظي أن الاختبار عشوائي وأن الوحوش لا تواصل بينها عبر العوالم. أتمنى حقا أن يكون هو الشاهد. ارتديت ملابسا كانت في الخزانة، ملابس عصرية كي لا ألفت الأنظار، دخلت الحمام أنظر في مرآته وإذ بي أرى فيها رجلا أبيضا قارب الخمسين، كثيف اللحية، هذا أنا كبير في السن! عدت مسرعا إلى تلك اليومية فوجدت أننا في عام 2020! المفروض أن يكون عمري 19 سنة في هذا العام! الأمر عشوائي كما تقول القواعد، ثم ألم يكن العام في اليومية 2029 منذ قليل! هاااه نسيت اضطراب العالم بعد كل تعديل يطرأ

عليه، منعت انفتاح البوابة وبالتالي سيزيد الاضطراب أكثر، المهم الآن علي بدأ البحث.

خرجت من الغرفة وفي يدي المفتاح، سرت على طول الرواق، صادفت الكثير من الناس في طريقي وكنت أتجاهلهم، نزلت السلالم إلى الطابق الأرضي، غرفتي في الطابق الثاني.. وصلت إلى عند الاستقبال فوجدتها تنظر إلي، أشحت بوجهي إلى الأمام وخرجت.. رفعت رأسي لأرى اسم الفندق (THE GATE) وتعني البوابة؟ هل البوابة القادمة هنا أم هي مجرد عشوائية أيضا؟ أكملت طريقي مع الرصيف، السيارات تأتي وتروح والناس كذالك، أسير نحو المجهول، ابتعدت مسافة 100 متر ثم خفت أن أضيع فعدت أدراجي.

أنا الآن في غرفتي أحاول تنظيم أفكاري، سمعت الناس كلهم يتحدثون الانجليزية وأنا لا أعرف منها سوى hello التي تعني الترحيب وأحيانا أنساها، ماذا أفعل في بلد لا أستطيع التواصل فيه؟ كنت قد رأيت بطاقة بنكية داخل درج الطاولة، هذا أولا، ثانيا أتتني فكرة وهي تذكر الضحايا، أوراقي التي كتبتها في المرة السابقة بقيت في ذالك العالم، سأحاول التذكر، هل كانت هناك ضحية تعيش في أمريكا؟ نعم، حبيبة زينو وإسمها صوفيا. كانت تعيش في واشنطن والآن أنا في واشنطن، هي أستاذة جامعية ان لم تخني الذاكرة، ولكن هناك الكثير من الجامعات هنا فكيف سأجدها؟ هل أستند

إلى فرضية أن البوابة تكون قريبة مني رغم عشوائية الاختبار؟ هل أنام لعل جميلة تأتي وترشدني؟حاولت النوم ولم أستطع، في الاختبار الماضي كنت أنام كثيرا ولم أدر لماذا، ربما هناك سبب لذالك وربما لا.. المهم أنني أخذت تلك البطاقة البنكية والهاتف الموضوع على الطاولة وخرجت من الفندق بعد أن ألغيت الحجز، سرت في الشارع حتى وصلت إلى أقرب بنك، أخبرتهم -بلغة الإشارة- أنني نسيت كلمة السر فقالوا -بلغة الإشارة- أن أستخدم بصمتي ففعلت، كانت البطاقة بإسمي ومعلوماتي فسألتني عن كلمة السر الجديدة فأخبرتها فوضعتها لي. أخذت معي البطاقة ورحت أطوف واشنطن كالغريب، بينما أنا كذالك وإذ بي أرى زينو يقطع الطريق مع المارة، سرت خلفه لأرى أين يذهب، لا بأس لو رآني فهو لن يتعرف علي على كل حال بسبب تغير شكلي. قطعنا الشارع تلو الآخر ولم يدخل لأي مبنى، لما وصلنا إلى مكان انعدم فيه الناس استدار خلفه مهاجما إياي، أسقطني أرضا وجثا على بطني حاملا سكينا واضعا إياه على رقبتي وهو يقول بالإنجليزية: "لماذا تتبعني؟ هل تريد سرقتي؟". لم أفهم ما قاله فأجبته بالعربية لعله يعرف أني لا أفهم الانجليزية: "لا أفهم ما تقول، لا أجيد الانجليزية"، فأعاد جملته بالعربية فقلت له:

-لم أكن أتبعك، كنت ذاهبا نحو مكان ما.

-ماهو هذا المكان؟

-لست أعرف المدينة فأنا جديد هنا لذالك كنت أتبع ال gps، اتركني وسأشرح لك.

قام عني قائلا: "لا تشرح شيئا؛ أكمل طريقك فحسب ولا تجعلني أراك ثانية". مثلت أني أنظر إلى هاتفي وأكملت المسير وهو عاد أدراجه.. عمر زينو 30 سنة وأنا الآن على مشارف الخمسين، الإنسان يزداد ضعفا كلما ابتعد عن مرحلة الشباب.. ابتعد قليلا ففكرت ثم قلت:

-هل تعرف أستاذة جامعية إسمها صوفيا؟ أخبرتني طفلتي عنها وأنها تريد مقابلتها.

-هل هذه مصادفة أن تسألني أنا بالضبط أم أنها خطة منك؟

-لا أبدا، بالطبع لست أعرفك بلْه أن أمكر بك.

نظر إلي قليلا ثم قال: "اتبعني".

مشينا مسافة طويلة دون أن أنطق بكلمة، لحسن الحظ أن زينو هذا محاكاة لزينو الحقيقي كما قال هواري أن الشخصيات التي لم تمت في الواقع هي مجرد محاكاة، وإلا لكان كشف أمري بذكائه الخارق.

وصلنا بعد نصف ساعة إلى منزل في إحدى شوارع واشنطن، بيت بطابق واحد على نمط البيوت المتنقلة، طرق الباب فظهرت من خلفه امرأة في أواخر العشرين، إني أقدّر السن من خلال الوجه فأحيانا أخطئ وأحيانا

أصيب ولكن هذه النقطة لا تهم كثيرا.. المهم أنها كانت صوفيا كما توقعت، لقد رأيت صور الضحايا مرتين، مرة في العالم الحقيقي أثناء تحقيقات الاستخبارات، ومرة ثانية في الحلم الذي رأيته في الاختبار الماضي، أحيانا لا أتذكر وجه أحدهم بسبب اختلاف سنه بين الحقيقة وهذا العالم.. ما يهمنا الآن هو أن صوفيا لن تتعرف علي بسبب كبر سني وتغير شكلي، هذه المرة تغير سني أنا والضحايا بقوا كما هم.. قال لها زينو: "أعدي لنا بعض القهوة"، أدخلني معه إلى غرفة لها نوافذ تطل على الشارع، أريكة وتلفاز ومزهريات في الزوايا، غرفة أحسبها معدة خصيصا للضيوف، جلسنا فافتتح الكلام بقوله:

-إذن ماذا تريد ابنتك من زوجتي؟

-سمعت أنها تجيد حل لغز مكعب روبك لذا أرادت منها أن تعلمها ذالك، لم تتركني أهنأ بالهدوء فسافرت وأخذتها معي لتراها.

-أين تسكن بالمناسبة؟

-أنا من الجزائر وقد أتيت من قبل أسبوع من الآن، تعبت من البحث حتى كدت أفقد الأمل.

-حسنا، يمكنك إحضار ابنتك غدا صباحا.

ودعته ثم خرجت من المنزل وأنا أفكر كيف سأحضر ابنتي التي لم تولد هههه، ابتعدت من البيت كي لا يشك في أمري ودخلت إلى أقرب فندق في تلك المنطقة، حجزت غرفة ل3 أيام بواسطة تلك البطاقة البنكية، ما يثير العجب هو أن هذا الفندق نفسه الذي كنت فيه، هل كنا ندور في دائرة؟ على كل فهذا سيساعدني أكثر، الفندق قريب من منزل صوفيا. هذا يعني ان البوابة قريبة من هنا، ما إن دخلت النزل حتى نادتني مضيفة الاستقبال، راحت تقول كلاما بالإنجليزية لم افهمه، فأشرت إليها أني لا أفهم كلامها، رغم هذا واصلت كلامها، أخرجت هاتفي وكتبت على المترجم: "لا أجيد التكلم بالانجليزية" ووضعته أمامها، لما قرأت الجملة حملت الهاتف وكتبت بالانجليزية ودفعته إلي، كانت تقول: "وجدت ورقه مرمية في الشارع أمام الفندق مكتوبة باللغه العربية، لم أفهم فحواها سوى أنني وجدت اسمك عليها" ثم أعطتني الورقة داخل ظرف فشكرتها، ربما أحد ما في هذا العالم يعرفني ويريد التحدث إلي، عزمت على فتحها في غرفتي، وبينما أنا أصعد السلالم ظهر أمامي آخر شخص توقعت رؤيته، قبل أن أخبركم من هو أريد تذكيركم بكلام الهواري لي، قال أن من مات في العالم الحقيقي سيظهر في هذا العالم بوعيه الحقيقي، هذا يعني أن صوفيا هناك ستعرفني لو رأتني بجسدي الطبيعي بينما ياسر وبلسم في الاختبار الماضي لم يتعرفوا علي رغم ذالك، هل تم مسح ذاكرتهم حينها؟ لست أدري.. الآن نعود لهذا الشخص الذي ظهر أمامي، شخص يستطيع قراءة الأفكار، أحد الضحايا ال15،

الشخص الذي أنقذته الجن من أن يصير قربانا، هل عرفتم من هو؟ إنها حنان أخت أحمد، عميلة الاستخبارات وخطيبة عبد الجليل، أردت إلقاء التحية فسبقتني بقولها: "رأسك مملوء بالقصص المثيرة"، قالتها بالعربية، عرفت أني لا أجيد الانجليزية، بلعت ريقي بصعوبة فرددت عليها:

-أنت حنان من الجزائر؟

-وأنت العباس! لكنك كبرت بسرعة! هل شربت عقارا؟

-أظنك قرأتِ أفكاري وعلمت السبب.

-بالتأكيد، ولكني أفضل تصديق فكرة العقار على أن أصدق ما وجدته في عقلك.

-عليك التصديق لأن لدينا مهمة مهمة جدا.

أكملت طريقها وكأنها لم تسمع جملتي الأخيرة، لولم تكن متعجرفة لما صدقت أنها حنان، قلت لها وهي تنزل السلالم:

-هل لنا أن نلتقي مجددا؟

-عندما أتفرغ سأكلمك.

واصلتْ نزول السلالم فصعدتُ إلى غرفتي وفي يدي ذالك الظرف، أخرجت بطاقة الفندق ومررتها أمام مستشعر الباب فانفتح، وضعت الظرف على

الطاولة ريثما أغير ملابسي، انتهيت، جلست على السرير وأخرجت الورقة من الظرف لأقرأها:

(علمت أن صديقك قد دخل معك الاختبار منذ أن وجدت نفسي فيه، ذالك أنه كان يمسك بك عندما أردتُ قتلك. من كان يتوقع أن يجتاز الامتحان 3 ممتحنين معا؟! حتى النار الحارقة لم تتوقع هذا. ياللسخرية! أنا العفريت الأكبر أكتب رسالة إلى بشري! على كل حال فلو خسرنا الاختبار لن يخرج أحد منا حيا لذالك أتمنى أن تصلك هذه الرسالة قبل فوات الأوان، العالم هذا عشوائي جدا لذا أود إخبارك أنك أنت وصديقك بقيتما على الساحة و أنني قد نجحت في اختبارين وأخفقت في واحد، ولكن ذالك الواحد سيعود عليك أنت بأقصى ضرر.. أغلقت بوابة الجني وبوابة الكهل وأخفقت في بوابة الحيوان، وهذه الأخيرة خرجت منها 3 وحوش، الأول الهيكل العظمي ذو الرداء والثاني هو البولغسار الذي قتل الضحية الكورية، والثالث هو قائد وحوش جانب النجوم، الكونت دراكولا قارئ الأفكار، قد تصادفه في اختبارك فكن حذرا، عندما أغلقت البوابة بقيت أطرد من عالم إلى عالم ولم تعد لدي فائدة، أرسل إليك هذه الرسالة عبر بوابة بعدية و أتمنى أن تصلك.

إلى العباس)

صدمة كبرى! 3 أنواع من الوحوش دفعة واحدة؟ وأعظمهم إثارة للمشاكل دراكولا ذاك، وأيضا هل دفع العفريت حياته ثمنا لإيصال هذه الرسالة لي؟ مادام قد فتح بوابة بعدية فقد مات، فعل نفس فعلة التابوت في الاختبار الماضي، أراد مني النجاح في الاختبار بأي ثمن، ضحى من أجل بني جنسه، هكذا يكون القائد وإلا فلا.

سحبت قلما كان موضوعا على الطاولة وشرعت أكتب على الظرف أنظم أفكاري ككل مرة، عليكم أن تركزوا معي جيدا:

أولا، فالعفريت نجح في اختبارين وأخفق في واحد، وأنا نجحت في واحد وأخفقت في واحد؛ يعني أن بوابتين قد فتحتا و3 بوابات أزيلت، تبقت لنا بوابة واحدة وونهي أمر تلك الوحوش.

ثانيا، بوابات (العذراء والجني والكهل والحيوان) والبوابة الأخيرة التي لم أعرف ما هي حتى الآن، كلها قد اجتيز امتحانها، تبقت بوابات (الطفل والمجنون والشاب)، إحدى هذه الثلاثة هي البوابة التي أزلتها في الاختبار الماضي، وبالنظر إلى أن الامتحان الماضي لم يكن فيه أي مجنون فيتبقى احتمالان (الطفل والشاب).

ثالثا، في الامتحان الماضي انفتحت بوابة بعدية كان يسحب الأطفال إليها، وكما نعلم أن البوابة البعدية تنشأ بفعل اضطراب في العالم أو بفعل فاعل شريطة أن يتحمل العقاب وهو الموت، تلك البوابة أظن أن الجن أتباع

السعداوي كانوا يسحبون الأطفال ويرمونهم فيها ومادام الأمر كذالك فهذا يوضح لنا سبب خطف الأطفال في العوالم، يأخذهم أتباع الوحوش إلى عالم آخر، عالم توجد فيه بوابة الطفل.

رابعا، نستنتج أن البوابة في العالم الماضي كانت بوابة الشاب وكان شاهين هو القربان، لذالك كان وعيه في جسد آخر في بوابة العذراء بينما عاد إليه في امتحان بوابة الشاب.

هكذا الخيوط بدأت تترابط، تبقى شيء واحد وهو أن شاهين لما دخل معي المرقد كان قد اقترب من الشاهد (الذي هو كراس الحجز) فلماذا لم تقم العجوز بجرحه؟ حينها كانت البوابة ستفتح ونخسر الامتحان، هي من الجن ويسمح لها بالتدخل المباشر، فلماذا لم تفعل؟

أنهيت جمع أفكاري ووضعت القلم في مكانه واستلقيت على السرير لأنام، تعبت كثيرا بسبب تتبع زينو عبر الشوارع وبسبب التفكير الكثير، الساعة الآن الواحدة ظهرا، سآخذ قيلولة صغيرة. أغمضت عيني فرحت في أحلام وردية.

حلمت[26] أني وسط أهلي وعمري في الثلاثين، متزوج ولدي طفل بعمر الخامسة، أبواي وأصدقائي وأقاربي كلهم معي نحيا حياة سعيدة بعيدة عن صخب الوحوش ومطاردة العصابة، فجأة أتت عاصفة أخذت كل شيء،

[26] القادم مجرد حلم

محت المباني واختفى الناس كلهم، ثم ظهرت أمامي فتاة جميلة لطالما رأيتها، إسمها جميلة وأنتم تعرفونها بالطبع، هذه المرة أستطيع الكلام، سألتها: "من تكونين؟" لاحظتُ أن صوتي قد خرج طبيعيا فوضعت يدي على فمي لأتحسسه فقالت هي: "كان وحش التابوت يغلق فمك، من قدراته التدخل في الأحلام". ثم صمتت قليلا ونظرت خلفها وقالت: "لا يهم من أكون، ليس لدي وقت كثير فزعيم الوحوش قد تحرر وعلم بأمري، عندما تستيقظ إسأل نفسك، أنت بعمر الأربعين ومناعة القولدن تنتهي عند الخامسة والعشرين، فلماذا لم يقتلوك الآن وينهوا الاختبار؟".

تبخرت جميلة كالماء واستيقظت مرتعبا أمسح العرق من جبيني، سحبت القلم والظرف الذي كنت أكتب عليه، وعلى مساحة صغيرة تبقت فارغة منه كتبت: "لماذا لازلت حيا وعمري الآن أربعين؟".وضعت فرضيات منها:

-قاعدة المناعة التي تنتهي في ال25 غير سارية المفعول هنا، شطبت هذه الفرضية لأن الهواري ظهر من قبل ويستحيل أن تكون غير مفعلة.

-لا يوجد أي وحش في هذا العالم، وشطبتها لأن هذا مستحيل.

-هناك من يحميني منهم، شطبت هذه أيضا لأن الهواري غير موجود.

-تبقت فرضية أخيرة وهي: "يريدونني ليجعلوني قربانا لبوابة القولدن" هذه الفرضية ممكنة مع هذا العالم العشوائي، ربما تأتي فرصة أوضع في مصر

حيث بوابة القولدن،[27] وحينها يجعلون مني قربانا، كلا، هذه الفرضية بعيدة لأنني في كل مرة أوضع عند بوابة سبق أن فتحت في العالم الحقيقي، وبوابة القولدن لن تظهر في هذا العالم لأنها مغلقة في الواقع، شطبت هذه الفرضية في الأخير ولم تعد لدي إجابة لسؤال جميلة.

حملت هاتفي، إتصالات كثيرة من رقم مجهول، الساعة الآن الرابعة عصرا، نزعت وضع الصامت وانتظرت، لم تمر دقيقة حتى أعاد المتصل اتصاله، رددت عليه فأتى صوت من الجهة المقابلة: "معك حنان، نلتقي غدا صباحا عند البنك" وقطعت الاتصال، يالها من متعجرفة، غدا صباحا يجب أن أذهب إلى منزل زينو، ياللمشاكل.

حل الصباح وذهبت ظلمة الليل، الساعة الثامنة حيث يبدأ الكل عمله، أخذت هاتفي وبطاقتي وخرجت مسرعا نحو الشارع ثم إلى البنك ذاك، هاهي حنان تنتظرني قربه، قالت: "تأخرت"، قلت لها بنبرة غاضبة:

-لازال الوقت باكرا.

-تريد أن تطلب مني طلبا فقله.

-ألا تستطيعين التوقف عن قراءة أفكاري!

-أستطيع ولا أريد.

---

[27] ذكر في الجزء الماضي أن بوابة القولدن في مصر.

-كيف حال عبد الجليل؟ لا أعرف كيف سيصبر عليك.

-هو بخير، اقترب موعد عرسنا.

-عمركِ الآن 21 عاما، أنت في مهمة أليس كذلك؟

-نعم، وأخي معي.

-أحمد! كيف حاله؟ هل هو بخير؟

-بخير، يتأخر في الاستيقاظ، غرفته فوق غرفتك تماما.

-لم أكن أعرف هذا هههه.

-على كلٍّ فأنت تريد مني الذهاب معك إلى بيت شخص يدعى زينو وتظنه زينو الذي يعمل في الاستخبارات.

-التعامل معك بقدر ماهو مزعج إلا أنه سهل، لا يحتاج الشخص إلى الكلام ولا الشرح.

-آسفة لإحباط آمالك فزينو في مهمة إلى بلاد أخرى ويستحيل أن يكون هنا.

-هلا اتصلت به لتتأكدي؟

-لا أملك رقم هاتفه وأصلا يمنع علينا الاتصال ببعضنا البعض في المهمات السرية.

-إذن! هل تذهبين معي لتري بأم عينيك.

-لأمثل دور ابنتك؟ من الذي ستنطلي عليه هذه الخدعة؟

-قولي أنني...

-ابنتك من التبني؟ حتى هذه لن تنفع.

-فلنجرب، لن نخسر شيئا.

هزت حنان أكتافها موافقة فسرنا نحو بيت زينو، طرقنا الباب ففتح لنا هو، لم تندهش حنان مما رأته وكأنها تقابل زينو لأول مرة في حياتها، قال لنا: "تفضلوا"، أدخلني معه الصالة نفسها وأشار إلى حنان أن تدخل إلى الداخل حيث صوفيا زوجته، تناقشنا قليلا حول الأوضاع في البلد وحالة الطقس والسياحة، اكتشفتُ أن أصله عربي وتزوج أمريكية وهو يسكن معها هنا.. حكى لي نفس القصة التي رأيتها في الحلم من قبل، تعرف عليها في الفيسبوك ووو، المهم أنه لم يشك فينا، ذالك أنني في الأربعين وحنان في العشرين ولا يستبعد أن تكون ابنتي.. لما خرجنا ودعنا وقال أن نزوره مجددا. سرنا نحو الفندق أنا وحنان فقالت:

-سأقول لك فلا تتكلم، أنا لا أحضر اجتماعات الاستخبارات لذالك لم أر وجوه العملاء من قبل، فلا أستطيع القطع أنه هو زينو أم منتحل لشخصيته، ولكني وجدت داخله ظلاما دامسا لم أر له مثيل، شر مطلق

يخفيه خلف ذالك الوجه المبتسم، في المرة الأولى أردت قراءة أفكاره فلم أجد شيئا، ثم بعدها انفتح لي الباب لأرى ذكريات زينو كلها، لذالك أنا أرجح أنه هو، أما بالنسبة لزوجته فهي صافية القلب تماما على عكسه، وتجيد لعب الروبك بالمناسبة.

-حسنا سأتركهم إذن.

-أنت لديك ذكريات كثيرة عن بوابات ووحوش واختبارات وعوالم موازية وتظن نفسك ڤولدن العصر، هذه أسطورة يتداولها أهل هذا البلد فهذا هو منشؤها، أنصحك بالعودة إلى بلادك واتركك من هذه الخرافات.

-أنت تقرئين الأفكار ولكنك لا ترين الأحداث، لو رأيت ما مررت به لما قلت هذا الكلام ولعلمتِ أنكِ نسخة فقط.

-لن أكذب عليك، لدي ذكريات في رأسي لم أعشها، مثل أنني مت وأن خطيبي مات قبلي.

-تلك كانت حياتك الحقيقية.

لم تعر جملتي الأخيرة أي اهتمام. وصلنا إلى الطابق الثاني في الفندق فقالت: "أتركك الآن، سأذهب لأوقظ أخي".

دخلت غرفتي وأنا أفكر في حقيقة زينو هذا، هل هو بشري أم وحش متنكر بهيئته؟ شغلت التلفاز لأرى هل هناك خبر مهم في هذا البلد فوجدت قنوات

كلها انجليزية، بحثت عن قنوات عربية ولم أعثر عليها إلا بشق الأنفس، وما إن وجدت واحدة رحت أقرأ الخبر في الشريط الأحمر: (تم اختراق نظام الدفاع الأمريكي وانطلق صاروخ نحو الجزائر وسقط في منطقة آراك بتمنراست).. تصفحت هاتفي لأرى متى كان هذا الخبر فوجدته قبل 3 أيام، في الحياة الواقعية كان بين هذا الخبر وخبر الضحايا أكثر من أسبوع، هل بعد أسبوع ستفتح البوابة هنا أم أنها مجرد عشوائية كعادتها! لا يهم، علي إيجاد البوابة أولا، البوابة ثم الشاهد، الشاهد كما تعرفون يكون شيئا متعلقا بالمكان الذي ظهرت البوابة فيه.

جلست ألعب مكعب روبك في الهاتف، أنا ماهر في حلّه كما أخبرتكم، حمّلت لعبة تنافسية، كل مرة تلعب مع شخص عشوائي حول العالم، من يحل مكعبه أولا يفز، مباراة تلو المباراة حتى مرت ساعتان دون أن أشعر، خرجت من الفندق أنفس عن نفسي قليلا، وبينما أنا أخطو السلالم وإذ بأحمد أخ حنان أمامي، تعرف علي رغم اختلاف سني وشكلي، قال في تعجب:

-إما أنني أحلم أو ما أخبرتني به حنان صحيح، تركتك في الجزائر طفلا!

-حكاية طويلة، المهم هو كيف حالك؟

-بخير، هل مازالت العصابة تطاردك؟

-لا، لقد تخلصت منهم منذ زمن طويل.

-جيد، تعال لنذهب إلى الملعب، هناك شباب جيدون.

خرجنا من الفندق إلى الملعب القريب، بعض الفتية يلعبون كرة القدم، لما رأوا أحمد نادوا عليه فرحين، كل فريق يقول أنه سيضمه إليه، لم يحلوا نزاعهم إلا بالقرعة، جلست أنا أشاهدهم وهم يلعبون، أحمد أكبرهم وأمهرهم في لعب الكرة، لعب نظيف ومواقف مضحكة وأخرى ساحرة، لم أنتبه للوقت كيف مرّ.. اقترب وقت العصر ونحن عائدان إلى الفندق، سألت أحمد: "ما هي المهمة التي أتيتم من أجلها؟"، أعرف أن أحمد لا يخفي عني شيئا، قال مباشرة: "لنحقق في أمر الصاروخ الذي انطلق نحو أراضينا وأيضا سمعنا عن أسطورة يصدقها الشعب الأمريكي يسمونها بالڤولدن، هناك إشاعات تقول أن بوابة تطل على عالم ثان ستفتح هذه الأيام، نحن لا نصدق هذه الأساطير ولكن الأمر جاء مناسبا مع المهمة الأولى".. شردت بذهني أفكر؛ كان يجب أن يكون أحمد وحنان بوعيهما ماداما قد ماتا في العالم الحقيقي فلماذا لم يتذكرا ما حدث لهما؟ حنان قالت أن لديها ذكريات عن موتها ولكن لم تصدقها، هل بلغ اضطراب هذا العالم درجة تغير الوعي؟ قاطع أحمد شرودي قائلا:

-أحمد: لما رأيتك بدأت أميل إلى تصديق هذه الأسطورة، تركتك في الجزائر وها أنت هنا؟

-هل ذكرت هذه الإشاعات موعد فتح البوابة؟

-قيل أنها في ال29 من هذا الشهر، يعني غدا.

-هل ستبقى ليوم غد؟

-بالطبع، تأشيرتنا تنتهي يوم الفاتح من ديسمبر، سيكون الأمر ممتعا.

-حسنا، أين أختك حنان الآن؟

-في غرفتها، أنهينا مهمتنا يوم أمس ونحن نرتاح هذه الأيام المتبقية.

-هلا نلتقي نحن الثلاثة صباح الغد؟ لدي لكما شيء مهم.

-حسنا، سأخبرها بهذا.

دخلت غرفتي مع العصر تماما، غدا تفتح البوابة ولست أدري مكانها، أخذت هاتفي أكتب في الدفتر:

هناك 3 أماكن محتملة للبوابة، الفندق الذي أنا فيه الآن، والبنك الذي استبدلت فيه كلمة سر البطاقة والتقيت بحنان اليوم صباحا بجانبه، ومنزل زينو وصوفيا، إحدى هذه الثلاثة لن يخرج الاحتمال خارجها، تبقى الآن اسم البوابة ما هو؟ هل هو الطفل أم المجنون؟ لم يظهر أي طفل ولا مجنون في هذا الاختبار، هذا يصعب الأمر أكثر.

خرجت من الدفتر إلى اللعبة بعد أن مللت من التفكير وعدت للعب مجددا حتى غابت الشمس واظلم البلد. خرجت أشتري عشائي من أقرب مطعم

موجود، دخلته بالأمس في مثل هذا الوقت ولم ألحظ شيئا حتى أنني نسيت عدّه في الاحتمالات الثلاثة. هذه المرة كان مملوءا بالبشر، أغلبهم أتوا بأطفالهم معهم، وهناك قرب المطعم مجنونان أو 3 يحومون حوله، يرقبون الداخل والخارج، ماذا يحدث؟ كأن الاختبار يسير ضدي، كيف سأتبع كل هؤلاءالأطفال والمجانين؟ أخذت طعامي على عجل ورحت أسير عائدا إلى الفندق، لم ألحظ إلا متأخرا تلك الجرذان التي كانت تسرق الطعام من مخزن الطعام وتقطع الشارع، جرذان ذات قرون سوداء ونيران زرقاء تشتعل منها، جرذان تمشي على قدمين! لا أحد يراها من الناس فهم يقطعون الطريق ولا ينظرون اتجاهها حتى. لما لمحتها من بعيد عدت أنظر عن كثب، لما اقتربت اختفت تماما، ربما كنت أتخيل فحسب.

على سريري الفاخر ممدد أنا أنظر إلى السقف وأقول في نفسي: "هل سأنجح وأعود إلى الديار؟ هل سأتمكن من رؤية والدي مجددا؟"، النوم يأتي عندما تظن أن ليس بعد، يأخذ عيناك على بغتة إلى عالم الأحلام، أرى نفسي في ورقلة حين كان 100 انتحاري في الطيارة، ثم إلى عين صالح وأنا بحضن عمي وخالتي، وها أنا أحمل الهاتف أرد على اتصال مجهول -في هذا الحلم كنت واقفا أرى نفسي وهي تخوض هذه المواقف-، عندما رددت على الاتصال قلت في نفسي: "هذا حين اتصلت بي جميلة"، أعلم أنها ستقول بأنها كانت تبحث عني طيلة عام ووجدتني أخيرا، ولكنها في هذا الحلم لم تقل هذا، أرى نفسي حين حملت السماعة انتظرت صوتا يأتي من الجهة المقابلة، بعد

برهة قالت جميلة: "احذر، أنت هو القربان القادم". استيقظت مفزوعا من الحلم، كان حلما جميلا لولا كلام جميلة هذا.

الشمس على وشك الشروق والنوم طار عني، أخذت الهاتف أريد الكتابة ثم تذكرت فحملت الظرف الذي كنت أكتب عليه، وقعت عيني مباشرة على جملة: "لماذا لم يقتلوك وينهو الاختبار؟"، سأضع فرضية أخيرةأمام الفرضيات التي شطبتها من قبل، ولن أشطبها وهي: "سيجعلونني قربانا لبوابة الكهل"، أراكم تقولون أن بوابة الكهل قد اجتاز العفريت اختبارها ونجح فيه -مثلما أتى في الرسالة التي أرسلها لي-، نعم فهذا محير فعلا، تعالوا لنضع بعض الفرضيات:

-إما أن العفريت لم يحطم الشاهد وقام أحد الوحوش بإرساله إلى هذا العالم.

-إما أن العفريت أخطأ في كتابة الرسالة.

-أو أن الوحوش هي من كتبت الرسالة لتضللني.

هذه الأخيرة مرعبة بمجرد التفكير فيها، إنها تضرب بجميع حساباتي عرض الحائط، لا طريق للتأكد من صحة الفرضيات، إذا كنت أنا القربان هذه المرة فمن سيحطم الشاهد غيري؟

وضعت الظرف في جيبي هو والرسالة بعد أن ثنيتهما لأقل حجم ممكن، نزلت السلالم ثم إلى خارج الفندق، وقفت أنتظر حنان وأحمد وبينما أنا كذالك رفعت رأسي لأتأكد من لافتة الفندق (THE GATE) مكتوبة بالخط العريض، رأيت أحمد وحنان من خلف الزجاج قادمين، يلبس أحمد لباسا رسميا وحنان لباسا جزائريا. قال أحمد: "هاقد أتينا، مالشيء المهم الذي تود اخبارنا به؟"، قاطعته حنان: "لازال يهذي بتلك الخرافات". ضايقتني جملتها هذه فرددت: "ليست خرافات، انظرا إلى اسم الفندق، هل هذه مصادفة؟". رفعا رأسيهما وما إن قرآ الكلام حتى أطلق أحمد تصفيرة من فمه وقال:

-قل ما تريد فأنا أصغي إليك.

-أنا: هناك وحوش تريد فتح بوابة لتخرج أصدقائها من العالم الآخر، افهما الأمر هكذا دون الحاجة للتفاصيل المعمقة.

لم تستطع حنان إمساك لسانها فقالت:

-وأنت قلق أنهم يريدون فتحها بك، وتريدنا أن نبحث معك عنها.

-بالضبط، وتوقفي عن قراءة أفكاري رجاء فأنت تقتلين المتعة. هناك 4 أماكن محتملة لوجود البوابة، هذا الفندق والمطعم القريب من هنا وذاك البنك، ومنزل زينو.

-أحمد: ما هو شكل هذه البوابة وكيف تفتح؟

-أنا: باب كبير لو رأيته ستقسم ألف مرة أنه مدخل إلى عالم آخر، إذا وجدته فاتصل بنا لا غير وسنأتي إليك.

-حنان: أنا سأذهب إلى منزل زينو وأقابل زوجته فهذا أمر سهل بالنسبة لي.

-أنا: كوني حذرة فعلى الأرجح ذاك وحش متنكر بهيئة زينو، لو اتضح لك أنه كذالك فلا تخافي، لن يستطيع أذيتك.

-أحمد: سأفتش أنا البنك المجاور، أنا ألبس لباسا رسميا ولن يشكو بي، وأيضا لدي طريقتي في التفتيش.

-أنا: وأنا سأذهب إلى المطعم ذاك، من يكمل مهمته يعود إلى الفندق ليفتشه، ومن يجد شيئا يتصل بالبقية.

انفصلنا بعد أن تفاهمنا على التفاصيل كلها، سيكون النصر حليفنا بلا شك.

***

أنا أحمد صاحب ال26 ربيعا أحكي لكم:

لما افترقنا ذهبت إلى البنك لأبحث عن بوابة لا أعرف شكلها، لما دخلت البنك وجدت مضيف استقبال، قابلني بابتسامة عريضة فأخرجت من جيبي بطاقة شرطي وإذن تفتيش، بالطبع كلاهما مزورين ولكن الخدعة

انطلت على الحارس والمضيف، بنك مكون من طابقين، تتبعت الأبواب كلها والخزانات كذالك ولم أجد شيئا، أردت الاتصال بالعباس لأخبره بنتيجة بحثي ولكن لا توجد شبكة في المكان، هممت بالخروج إلى الشارع لعلها تعود ولكن السلالم لم تكن هناك! أنا متأكد من أنني صعدت الطابق الأول من هنا، أعدت فتح الأبواب وللأسف فكلها مبنية بجدار، الأبواب أصبحت إطارا على جدار لا غير. الأضواء منارة على طول الأروقة ولكن لا يوجد بشري واحد، فجأة أظلم المكان وانطلق نور شموع يرسم طريقا نحو شيء ما، تتبعت الأضواء حتى وجدت نفسي أمام بوابة عملاقة أقسم أنها من عالم آخر.

***

أنا حنان قارئة الأفكار، أحب مضايقة العباس حتى وهو بهذا العمر هبه، قرأت كل ما كان يفكر فيه، اختبارات خاضها وعالم حقيقي أتى منه، لا سبيل لتصديق ما يفكر به إلا بإثبات وجود هذه البوابة، ركضت مسرعة إلى بيت زينو، طرقت الباب فظهرت من خلفه صوفيا، رحبت بي وقالت: "ادخلي وخذي راحتك، زوجي ليس هنا الآن"، كنت متعجبة من شدة اتقانها العربية رغم أصلها الأعجمي، سألتها إلى أين ذهب فقالت: "لديه عمل سينجزه، هكذا قال لي"، هي لا تكذب، حتى أنني قرأت أفكارها فلم أجد شيئا غريبا عن زوجها ولا عن بوابة سوى شائعات سمعتها في التلفاز، جلست

معها تعلمني مكعب روبك، لست من محبي ألعاب الذكاء ولكن المهمة تفرض علي هذا. بعد أن قضينا وقتا لا بأس به في التعلم قالت لي: "تعالي لآخذك في جولة داخل المنزل"؛ امرأة طيبة لا تحمل أية كراهية تجاه أحد. وافقتُ مباشرة فهذا سيسهل عملي، دخلنا غرفة الضيوف تلك، أريكتان وتلفاز ومزهريات في الزوايا وخزانة قرب التلفاز تحوي كتبا كثيرة، قالت صوفيا: "هذه الخزانة أخرجها زوجي بالأمس من غرفته ووضعها هناك"، ذهبتُ باتجاهها لأرى عناوين الكتب، كلها كتب عن الشطرنج وتاريخه، بينما أنا أتصفح الكتب تلك بعيني لمحت رأس ورقة ظاهرا، سحبتها ببطء فوجدتها كأنها قطعة من كراس، مكتوب عليها تاريخٌ ميلاديٌّ بعيد جدا جدا عن التاريخ الذي نحن فيه، ثم تحت التاريخ مكتوب: "شاهين أمير، ليلة واحدة، الغرفة رقم 9" علمت مباشرة ما تكون هذه الورقة، قرأت أفكار العباس كلها مرات عديدة، الشاهد الذي يظن أنه قد تخلص منه لازال عند زينو وهذا هو؛ مزقت الورقة ووضعت أجزاءها في جيبي، التفت إلى صوفيا واذا بزينو يقف خلفي مباشرة وقد احمرت عيناه وبرزت أنيابه، ارتعبت مفاصلي ولم أقوى على التكلم حتى تذكرت كلام العباس: "لا تخافي، لن يستطيع أذيتك"، قلتُ في تحدٍ بعد أن قرأت أفكاره: "أنت قائد جانب النجوم إذن، بتُّ أصدق الأساطير الآن". ضحك من أعماق قلبه، ضحكة من أعماق الجحيم تقطر بالشر، ثم قال: "قارئة أفكار أنت إذن، أخبرك العباس أني لا أقدر على أذيتك ولكنه لم يخبرك أنني أقرأ الأفكار أنا أيضا، تضعف قدراتي إلى أقصى

حد عندما أكون في هيئة بشري، علمت بقدومك إلى هنا ولكن لم أتصور أن تعبثي بأغراضي، حطمتِ شاهدًا ولكنك لم تجدي البوابة الأخرى". فرقع بأصابعه فنسيت كل ما حدث، أنا واقفة في منزل صوفيا أمام تلك الخزانة ولست أدري لماذا أنا هنا أصلا، وجدت صوفيا مرمية على الأرض فاقدة للوعي. تحسست نبضها فوجدتها حية. خرجت من المنزل ولست أدري مالذي أتى بي إلى هنا. سأعود إلى الفندق.

***

عدت إليكم أنا العباس، الجو في المطعم يبعث على الهدوء، لا شيء يثير الاستغراب، ولا توجد أبواب هنا أصلا، سوى باب الحمام هناك، طلبت الدخول إليه فوافق صاحب المطعم، فتحت الباب فلم أجد شيئا، خرجت أجر أذيال الخيبة، اتصلت بأحمد فلم يرن هاتفه، لابد أنه خارج الخدمة، اتصلت بحنان لأسألها عن النتائج فقالت: "أية نتائج؟" ثم أردفت: "اااه، لم أجد شيئا" أخبرتها أن نذهب للقاء أحمد في البنك أولا، عندما وصلنا وجدنا أحمد خارجا من هناك ووجهه محمر وعيناه متصلبتان من الرعب، أسرعنا إليه نسأله ماذا حصل، فأجاب بصعوبة: "رأيت بوابة ثم اختفت"، قالت حنان: "ألا يعني هذا أننا نجحنا؟" رددت عليها مسرعا: "ليس بعد، هناك من حطم شاهد هذه البوابة، ولكن هناك بوابة أخرى"، لو نجحنا لاختفى هذا العالم ولكن هذا لم يحصل. أسرعنا نحو الفندق في الشارع الآخر، وجدنا

الناس مجتمعين والصحافة بدأت في القدوم، لم نحتج إلى تخطي هذه الجموع الغفيرة لنرى، هم مجتمعون ينظرون إلى بوابة تراها من بعيد لأنها عملاقة مقارنة بغيرها، مدخل الفندق أصبح بوابة وفوقه تلك اللافتة مكتوب عليها (THE GATE) ؛ كنت أظن أن البوابات توجد قبل أن أدخل الاختبار ولكن هذه ظهرت الآن فقط.

ولجنا الفندق من المدخل الخلفي، لا يوجد أحد فيه، الجميع هربوا خارجا، توقفت قليلا لأفكر، مادامت البوابة متعلقة بالفندق فالشاهد شيء متعلق به أيضا، البطاقة! -بطاقة الفندق- فتشت جيوبي حتى تذكرت أنني نسيتها داخل الغرفة وأغلقت عليها، قرأت حنان أفكاري في هذه اللحظة فقالت: "لنسرع"، صعدنا السلالم إلى الطابق الثاني، باب الغرفة مقفل، قال أحمد أن علينا استخدام القوة وكسره، أخبرته أن هناك كاميرات مراقبة فقال: "العالم على وشك أن تجوبه مخلوقات مخيفة وأنت خائف من كاميرات مراقبة!". راح يضرب الباب بكتفه فانضممت إليه. بعد عشر ضربات انكسر الباب كاشفا عن زينو واقفا قرب سريري يحمل البطاقة في يده، لم أره لا أنا ولا أحمد ولكن حنان رأته، لما انكسر الباب سقطنا أرضا بسبب الزخم، رمى زينو البطاقة علي فانطلقت كالصاروخ، أي شيء تزداد سرعته يزداد اختراقه، فكيف ببطاقة حادة أصلا؟ كنت لأصير قربانا بعد أن تتلطخ البطاقة بدمي ولكن...

ولكن حنان اعترضت طريقها فاخترقت البطاقة بطنها، كل هذا حصل في لمح البصر، سحب أحمد البطاقة من بطنها وكسرها ثم وضع قميصه على جرح أخته، تحول زينو إلى شكله الطبيعي، شكل الكونت دراكولا القارئ للأفكار ثم أتت نار من العدم تلتهم أطرافه شيئا فشيئا وهو يصرخ: "لقد خططت لكل شيء، لماذا الحظ يقف معك؟"، لم أصغ لما قاله فبالي مشغول بحنان المطروحة أرضا، قالت والدماء تخرج من فمها: "الآن تذكرت، وجدتُ شاهد اختبارك الماضي في خزانة هذا الوحش، ورقة مكتوب عليها اسم شاهين، وقد مزقتها". قال أحمد وهو يبكي: "لقد أنقذتني أنا أيضا، كنت سأصير قربانا لتلك البوابة". ابتسمت حنان وقالت: "أولسنا قد متنا من قبل فلماذا تبكي؟".

اختفت الموجودات من حولي وحلّ ظلام دامس إلى مالا نهاية.

الفصل الرابع:

شيء غير متوقع

ظلام على مد البصر، كأنك في فضاء بلا نجوم، صغُر جسدي لأكثر من عشرين سنة، يعني الآن أنا العشرينات من عمري.. مرت ساعتان وأنا جالس في الظلام، في العادة لا يدوم هذا الظلام إلا ثوان معدودة ثم أجد نفسي في اختبار جديد. صرخت بكل قوتي لعل أحدا يجيبني ولكن دون جدوى، أنا عالق بين العالمَين ولا أدري كيف أعود، جلست أفكر ربما هذا بسبب اضطراب العالم من قبل، بعد أن منعت انفتاح بوابتان دفعة واحدة قام بلفظي إلى هذا الظلام، هذه فرصة جيدة لأفكر قبل دخول الامتحان الأخير، كان يجب أن ينتهي الامتحان بعد غلق هذه البوابة الأخير ولكن مادام لم يحدث هذا فرسالة العفريت خاطئة. دعونا منها ولننس أمرها، الشيء الذي أنا متأكد منه هو 4 بوابات قد مضت (العذراء والشاب والكهل والجني) وتبقت (الحيوان والطفل والمجنون) وأيضا فالكونت دراكولا قد مات الآن، لحسن حظي أن اثنان من المخابرات ساعداني في الامتحان وإلا لكنت ميتا الآن، أما تلك الجرذان فلا بد أنها تعود لوحش الهيكل العظمي وقد كانت تتنكر بأشكال أطفال ومجانين ليصرفوا تفكيري عن أني القربان القادم، كل تلك كانت خطة دراكولا ذاك ليأخذني على حين غرة، ولكن ما يحيرني أمران:

الأول هو من تكون جميلة هذه؟ ولماذا تساعدني؟

الثاني وهو الأهم، مادامت الوحوش قد كانت قادرة على قتلي في الاختبار الماضي لماذا لم تفعل؟ لماذا اختارت الطريق الطويل وهو فتح البوابات وهزيمتي؟ سنحت لهم الفرصة في الاختبار الماضي فلماذا لم يستغلوها؟ هل فتح البوابات عندهم يؤدي إلى نتيجة أخرى غير انتهاء الامتحان؟

انفتحت فجأة أمامي بوابة بعدية، الضوء الخارج منها يمنعك من رؤية ما في الطرف الآخر، أسرعت إليها قبل أن تغلق ثم قفزت عندما تبقت بيننا مسافة قصيرة، سقطت في الجانب الآخر وسط مرج أخضر شاسع، جبل قرب قرية؛ رأيت هذا العالم من قبل! أليس هذا عالم ابنة الجبل وبافل؟ لكن لم تكن كل هذه القرى موجودة فيه، هل اندمج عالمان مع بعضهما؟ سرت باتجاه القرية لأرى أين أنا، منازل مبنية بالاسمنت والطين، مثل قريتنا عندما ظهر شيء اسمه الاسمنت. شارع واحد يصطف التجار على جانبيه يعرضون سلعهم، هذه نفسها قرية نينيا، أسرعت نحو اطراف القرية لأرى منزل بافل، وجدته مهجورا لا أحد فيه، راودني إحساس غريب مثل أن تدخل منزلا ميتا كان حيا بأهله. تذكرت أن زوجة بافل كانت عندها جارة تذهب عندها بين الفينة والأخرى، أسرعت نحو بيتها؛ طرقت الباب ففتح لي شاب يبدو في ال30، سألته عن جارهم بافل فقال: "رحلوا منذ 3 سنوات ولست أدري إلى أين". أحسست بالحنين إلى هذا المكان رغم أني لم أبق فيه إلا يومان أو ثلاث، ربما بسبب ابنة الجبل تلك. ركضت بأقصى ما لدي نحو الجبل، مسافة 500 متر تقريبا بين الجبل والقرية، وصلت الغابة فقطعتها

دون النظر يمنة أو يسرة، ليس لدي وقت لأضيعه، وصلت عند الجبل فوجدت ما كنت أتوقعه، بوابة العذراء التي فُتحت لا تزال مفتوحة، دخلت الكهف فلم أجد شيئا، اختفت البوابة التي كانت هنا، خرجت أفكر في طريقة لغلق هذه البوابة المفتوحة، إنها تؤدي إلى جانب النجوم، لو دخلتها سأموت حتما، بينما أنا أفكر ظهرت زوجة خالي لبنى من خلف الأشجار قائلة:

-هل رأيت إلى أين وصل اضطراب هذا العالم.

-كيف استطعت الظهور أمامي مجددا؟

-مصادفة، كل مرة أرمى من عالم إلى عالم، كنت فيما مضى أعيش في عالم واحد ولكن لأول مرة تمنع بوابة من الانفتاح حصل اضطراب جعلني أنتقل هكذا.

-هل جميع الڤولدن الذين اجتازوا الامتحان لم يستطيعوا منع بوابة واحدة! أي أنهم لم ينجحوا في أي امتحان!

-بالضبط، أنت الوحيد الذي نجحت في 3 امتحانات.

-مالفرق بيني وبين البقية؟

-لأن لديك صديقان دخلا معك الاختبار، ولأن الضحايا ال14 لم يكرهوك ولم يحقدوا عليك، لذالك أغلبهم تجدهم في صفك.

-معك حق، لولا حنان لمت في الامتحان السابق.

جال في خاطري سؤال فأكملت قائلا:

-لماذا لم ألتق بأي ڤولدن سابق سواك؟

-هذا لأني الوحيدة التي قرأت بنود الاختبار من كتاب المعرفة.

-هل تعرفين فتاة اسمها جميلة؟ تأتيني دائما في أحلامي تساعدني.

-لا،ربما هي ڤولدن لم أسمع به، أو ضحية من الضحايا.

-أمرها محير.

ضربت لبنى جبهتها بيدها وهي تقول:

-نسيت أهم شيء، دعك من هذه البوابة واذهب إلى اختبارك فهذا هو الاختبار الأخير.

-اجتزتُ 3 اختبارات والعفريت اجتاز واحدة، لا تزال هناك 3 بوابات يعني اختباران غير هذا.

-لا، العفريت اجتاز اختباران، نجح في واحد وأخفق في واحد، وصديقك الآخر وُضع في امتحان وخسر فيه، وأنت أخفقت في واحد ونجحت في اثنين، يعني أن هذه هي البوابة الأخيرة. كنتُ كلما وضعتُ في عالم جمعت بعض المعلومات، هذا ما توصلت إليه بعد التحري.

-ما اسم البوابة التي ستفتح في هذا الاختبار؟

-لم أعرف أسماء البوابات المفتوحة لذالك لا أستطيع التخمين ولكن عمرك الآن ربما 25 أو أقل؛ لذالك ستنتهي مناعتك بعد أيام ربما.

انفتحت بوابة بعدية خلف ظهرها ساحبة إياها في لمح البصر، لن أراها مجددا بعد هذا، أردت إخبارها أن ابنتها زهرة قد كبرت وهي تشبهها ولكن لم تسمح لي فرصة لذالك.

عدت أدراجي إلى القرية، لما وصلت لم أجد شيئا ملفتا للنظر، عزمت أمري ورحت نحو أقرب قرية، لم أجد شيئا، ثم إلى قرية أخرى ولم أنجح في العثور على طرف خيط، بين كل قرية وقرية 500 متر، تعبت من التنقل بينهم، جلست على قارعة الطريق ألتقط أنفاسي، مر بجانبي رجل يحمل ماء فأعطاني منه، كان معه بعض الخبز فناولني إياه، أكلت وشربت ثم جمعت شتاتي ذاهبا إلى المدينة هذه المرة، هذا العالم يشبه عالم الاختبار الأول كما أخبرتكم، لا فرق سوى أن هناك قرى متعددة هنا، المدينة تبعد 2 كلم، قطعتها سيرا على الأقدام؛ نفس المدينة ونفس الشوارع، هناك حيث مدرسة نينيا، دخلت وأنا أقلب عيني بين الطلاب، لم يلحظ أحد أني جديد ولا حتى الحارس، كثيرون جدد يأتون إلى هنا كل شهر، سألت بعضهم إن كان يعرف شخصا يدعى باسم فلم يعرفوا، زرت القسم الذي كان يدرس فيه فلم أجده، خرجت إلى الشارع والأطفال المشردون يملؤون المكان، بعضهم يتاجر

وبعضهم يسرق وبعضهم يتسول المارة ليعطوه بضع دنانير يشتري بها ما يأكله، سألت التجار إن كان قد أتى أحد الأثرياء وأخذ أطفالا مشردين، قالوا أن هذا يحصل كل شهر مرة، ولا أحد يعرف إلى أين يأخذونهم. انعزلت عن الناس أفكر قليلا، مادام ضياء قد أبعدني عن المدينة في المرة الماضية فلا شك أنه أخذ الأطفال إلى خارج المدينة. ذهبت نحو أطرافها لأرى، لا توجد ولا قرية على مد البصر في الجهة المقابلة، هل أجازف وأذهب نحو المجهول؟ فجأة ظهر شبح فتاة صغيرة، رأيتها في الحلم من قبل؛ تلك الفتاة التي أتت بعض الضحايا وسلبت منهم الشعور قبل أن تقتلهم الوحوش، أراها الآن وسط المروج تشير إليّ بيدها، ذهبت نحوها وكلما أقترب تبتعد كالسراب، لم ألحظ هذا إلا بعد أن قطعت مسافة طويلة جدا، عندما اختفت نظرت خلفي لأجد المدينة بحجم كرة قدم. الشمس غربت قبل قليل؛ هل أعود قبل أن تنتشر الذئاب؟ عدت أدراجي مسافة 50 مترا وضوء الشمس غاب كليا، جال في خاطري أن أنظر إلى الخلف ففعلت، لمحت ضوءا أصفرا يشع من تحت الأرض، على بعد 50 مترا أو يزيد، كنت واقفا قربه قبل قليل! عدت لأرى فوجدته بابا خشبيا مخبأ بين الأعشاب لذالك لم أره، رفعته رغم ثقل وزنه، سلالم نحو الأسفل! لابد أنه مخبأ أو نفق، جمعت بعض الأحجار المتناثرة لأدافع بها عن نفسي، نزلت السلالم ببطء، 10 درجات أوصلتني إلى الأرض حيث هناك ممر مضاء بشعلات معلقة على جانبيه، خطوة خطوة أتسلل عبر الممر المنعرج، يمينا يسارا يمينا يسارا حتى

وصلت إلى حيث ساحة واسعة بطول 16 مترا وعرض 5 أمتار وارتفاع 4 أمتار. اختبأت خلف المنعرج أرى ما يحصل هنا، 3 وحوش، بولغسار والمسخ الذي قتل الضحيتان الثالثة والرابعة والكلب ذو 3 رؤوس الذي قتل ابن عمي، واقفون في الوسط ومعهم رجال أعينهم حمر تفيض بالشر، لم أظن يوما أن أحدا من البشر قد يبلغ من الشر نصف ما أراه من هؤلاء الآن، عددتهم على وجه السرعة فوجدتهم 11 رجلا، لن أستطيع محاربتهم وحدي فسيقتلونني حتما، أخرجت رأسي بحذر متحاشيا أن يروني، أنظر إلى آخر الغرفة لأرى أطفالا كثرا مكمي الأفواه مربوطي الأيدي خائفين من هؤلاء الرجال وحُقّ لهم، أكبرهم سنا لم يصل لسن ال13 على ما أظن، لاحظتُ أنهم ينظرون فقط للرجال؛ أظنهم لا يرون هذه الوحوش الثلاثة، ولكن الرجال حتما يرونها فهم يتحدثون معهم ويلقون عليهم الأوامر، كيف يستطيعون رؤيتهم؟! لا يستطيع البشر رؤية الوحوش إلا إذا صاروا قرابين أو تنكرت الوحوش بهيئة بشري، هل هؤلاء الرجال قرابين مؤجلة أم ماذا؟ أقصد هل علموا بحقيقتي والوحوش تركتهم يعيشون لأن بوابة الڤولدن غير موجودة هنا؟ تركوهم مقابل أن يصيروا عبيدا عندهم! راح أحد هؤلاء الرجال ساحبا طفلا من ذراعه والآخرون يصرخون بهمهمات بسبب تكميم أفواههم، سحبه من يده وهو يكلم أحد تلك الوحوش قائلا: "هذه الدفعة التاسعة، آمل أن تصل الدفعة القادمة في الوقت المحدد"، نطق البولغسار قائلا: "لا نعرف متى يجب أن تفتح البوابة، لذالك سنواصل ما نفعله حتى

يظهر الطفل الموعود". يواصل الرجل المسير نحو الطرف الآخر من الغرفة، أملت رأسي لأرى ما يوجد هناك؛ **جثث أطفال مرمية قرب بوابة**، جملة قصيرة تحمل من الرعب ما يكفي لهز الجبال، البوابة معلقة في السقف في ركن الغرفة، وتحتها مباشرة جثث لأطفال كثر قد جُزّت أعناقهم، لم أتمالك نفسي فعدت أدراجي مسرعا وأنا أقاوم رغبتي في القيء، صعدت السلالم وأعدت الباب الخشبي إلى وضعه ثم ركضت إلى المدينة بأقصى ما لدي.

لما دخلت الشارع الأول سقطت مغشيا علي من تعب المشي والخوف، استيقظت مع الصباح على سرير من قطن في بيت فاخر بالنسبة لسكان القرى، فتحت عيني على وجهين أعرفهما، هذا شاهين يدور حول السرير يفكر بشيء ما، وهناك ياسر واقف قرب النافذة، قلت بصوت مبحوح: "شاهين وياسر!"، انتفضا لما سمعاني، رد شاهين: "كنت قلقا عليك، وأخيرا استيقظت!" وقال ياسر: "لا تنادني بياسر، اسمي بافل".

استجمعت قوتي لأجلس على السرير وقلت: "أين نينيا؟ أو أين باسل ونداء؟" أجاب باستغراب: "لا أعرف أيًّا من هذه الاسماء، لدي طفلان وهما مخطوفان منذ أسبوع، ولدي زوجة لو سألت، فلا تناديني بأسماء عجيبة"، قلت في نفسي: "لديه وجه ياسر واسم بافل وهو ليس أي أحد منهما! اضطراب هذا العالم قد ازداد أكثر". قاطع شاهين تفكيري قائلا: "وُضعتُ في اختبار ولم أدر به، وقد فتحوا البوابة بينما كنت أبحث عنك" قال

ياسفل[28]: "عن أي بوابة تتحدث؟ هناك أساطير عن وجود وحوش تستعبد البشر ولكنها تبقى مجرد أساطير"، نظرت إليه قائلا: "الأفضل لك أن تصدقها" ثم توجهت بكلامي نحو شاهين قائلا:

-كيف وجدتماني ومالذي تفعله أنت هنا في منزل ياسفل؟

-اسمي بافل.

-شاهين: بعد أن خسرت الامتحان وضعت في هذا البلد ورحت أبحث عنك كل مرة ولكني كنت أبحث عن البوابة أيضاً، جبت القرى المجاورة حتى قدمت إلى المدينة في الأخير ولما رآني هذا الرجل الطيب قام باستضافتي عنده.

-منذ متى وأنت تجوب القرى؟

-شاهين: منذ أسبوع، بالأمس صباحا قدمت إلى هنا.

-أنا: إذن هل نعود إلى قريتنا؟

غمزت لشاهين بهذه الجملة ففهم مرادي، شكرت صاحب البيت على الضيافة وخرجنا نحو الشارع نتبادل أطراف الحديث، قال لي شاهين مستغربا:

---

[28] ياسر + بافل= ياسفل

-هل هناك شيء مهم لا تود أن يعرفه؟

-نعم، عرفت مكان البوابة.

-مالذي ننتظره إذن؟ فلنذهب وننهي الاختبار.

-لا، ليس بعد، الشاهد لم أجده.

-فلنذهب ونبحث عنه، أوليس الشاهد يكون قريبا من البوابة؟

-هناك مشكلة علينا حلها أولا؛ تعال معي وستفهم.

وقفتُ على سطل كان مرميا وسط الشارع أصرخ: "أيها الرجال الطيبون، كل من ضاع طفله فليقترب مني، كل من يريد المساعدة فليقترب".. تجمع الناس ينظرون، حشد كبير ربما يصل لسبعين شخصا، قال واحد منهم: "قل ماذا تريد"، شاهين واقف بجانبي وعليه علامات التعجب، قلت بصوت يسمعه آخر من في الشارع: "لقد وجدت الأطفال الضائعين، كل طفل اختطف وكل طفل مشرد أُخذ، كلهم في مكان واحد ويجب أن نحررهم" انتشرت الفوضى بين الناس بسبب أن كل واحد يصرخ ويريد إيصال كلامه، أردت الحديث ولكن صوتهم المرتفع منعني، أشرت لهم بيدي أن يصمتوا فخف الصراخ كثيرا، حينها قلت لهم: "وجدتهم خارج المدينة في مكان تحت الأرض، من أراد مساعدتي في تحريرهم فليتبعني"، نزلت من على السطل أخطو نحو وجهتي وشاهين يهمس لي:

-هل ما قلته صحيح؟

-نعم، كانوا 11 رجلا فلم أستطع التدخل، انظر خلفك كم رجلا تبعنا؟

-لا أحد. مالذي سنفعله بمفردنا؟

-سنضع خطة، أنا سأجعلهم يخرجون من النفق ويتبعونني وأنت ستخرج الأطفال.

-سيقبضون عليك في آخر المطاف.

-لا يهم، المهم أن ننقذ الأطفال.

نحن الآن واقفان على حدود المدينة، بعد أن تذكرت الاتجاه الذي سرت فيه بالأمس انطلقت، ما إن خطونا 10 أمتار حتى نادانا ياسفل من الخلف: "توقفا"، لم يكن بمفرده بل 5 رجال برفقته، كل واحد منهم يحمل سكينا وبندقية، بعد أن وصلوا إلينا قال ياسفل:

-لماذا لم تخبراني بالأمر؟ طفلاي مخطوفان وأنتما تطلبان المساعدة من الغرباء؟

-لم أشأ أن أعرضك للخطر، كنت أود إعادة طفليك إليك كرد للجميل.

قرصَ أذني بإصبعيه وهو يقول: "هؤلاء الرجال اختُطف أولادهم أيضا وقد أتوا للمساعدة". أشرت إلى اتجاه المخبأ بيدي قائلا: "هناك غرفة تحت

الأرض على بعد كلم واحد تقريبا من هنا، باب خشبي مخبأ بين الأعشاب، فلنذهب".

قطعنا كل تلك المسافة حتى أصبحت المدينة بحجم كرة قدم، مشطنا المكان لمدة طويلة ولم نجد شيئا، قال أحدهم : "هل أنت متأكد أنك رأيتهم؟"، تزعجني هذه اللحظة عندما تصبح أنت الهدف حين لا يوجد هدف؛ قلت له في ضجر: "بالطبع"، بالأمس دلني شبح الفتاة على المكان ولكن هذه المرة لم تظهر، هل أحد تلك الوحوش الثلاثة لديه القدرة على إخفاء الأشياء؟ هل هكذا هم محصنون من أن يجدهم أحد؟ وأنا غارق في التفكير سمعت صوت صفير الرياح حين تقطع الأطلال، نظرت أمامي وكانت تلك الفتاة على بعد أمتار مني، التفت إلى الرجال فعلمتُ ألا أحد يراها سواي، سرت نحوها وحين تبقى متر بيني وبينها أردت الكلام فاختفت، صوبت عيني حيث كانت واقفة وإذ بباب خشبي، ناديت الرجال فأتوا مسرعين، حملنا الباب ببطء كي لا يسمعوا أي صوت، نزلنا السلالم ثم سرنا على طول الرواق المتعرج إلى أن وصلنا حيث الغرفة، كان 4 رجال واقفين و3 جالسين، اقتحم ياسفل المكان عليهم مطلقا النار على كل واحد منهم، قتل 4 والبقية قتلوا ال3 الآخرين، لم نكن بحاجة لأحد سوى ياسفل هذا، هبه لديه قلب أسد.

لما انتهينا منهم نظرنا نحو الزاوية فلم نجد أي طفل، ثم التفت نحو البوابة المعلقة في السقف، كانت الجثث قد ازدادت كثيرا، أظنهم قتلوا جميع الأطفال الذين رأيتهم بالأمس؛ لمح أحد الرجال جثة طفله فراح يجذبها من بين الجثث جاثيا على قدميه وهو يصرخ وينوح، لما انتبه له البقية شرعوا يبحثون عن أطفالهم بين الجثث، وللأسف فقد كان أطفالهم جميعهم مذبوحون. نظرت إلى ياسفل فقد كان مسمرا في مكانه، أردت التحدث معه ولكني عدلت عن الفكرة، هذا وقت حزن وغضب. فجأة انسعر كالمجنون منقضا على جثة من تلك الجثث -كان أحد طفليه ميتا- وهو يبكي ويقول: "سامحني يا بابا سامحني"، ذالك الرجل الشديد أصبح كالطفل، أقسمت حينها أنني لن أخرج من هذا الامتحان إلا منتصرا، لن أترك تلك الوحوش على قيد الحياة.

لم ينتبه أحد من هؤلاء الرجال إلى البوابة التي فوق رؤوسهم، لما رآها أحدهم أخيرا ارتعب حتى انتبه له البقية، قلت لهم: "هذا هو سبب قتلهم للأطفال، هذه بوابة أرادوا فتحها بتقديم قربان بشري"، عض ياسفل على أسنانه قائلا: "فلنخرج الأطفال من هنا، سندفنهم كما يليق بهم". لم أتوقع يوما أنني سأحمل جثة بين يدي، بعد أن أخرجنا الجثث كلها والتي أظن أن عددها 20 ذهب أحد الرجال ليحضر عربة من المدينة، بعد مدة أتى وأخذ الجثث كلها وسنلحق به عما قريب. كنا واقفين يتحاشى أحدنا أن ينظر للآخر، صحيح أنه عالم ليس حقيقيا وأن كل هؤلاء الرجال مجرد محاكاة

ولكن رغم هذا أراهم بشرا مثلنا. بعد مدة قال أحدهم: "فلنحضر البارود ونفجر هذا المكان الملعون" فرددت عليه: "ليس بعد، هناك 4 رجال غير موجودين، وسيعودون عاجلا أم آجلا، سنقضي عليهم أولا". وافق على كلامي مباشرة فجلسنا ننتظر مستلقين على الأرض بين الأعشاب بعيدين ب30 مترا، قدمت عربة عليها 4 رجال ومعهم طفلان، لما وصلوا إلى المدخل ترجلوا يريدون إدخال الطفلين، واحد يرفع الباب الخشبي والثاني يراقب بسلاحه والآخران كل واحد يريد حمل طفل، طفلان في عمر السابعة أو أقل، كنت مركزا معهم حتى سمعت صوت إطلاق نار، هذا الرجل الذي أراد تفجير النفق لم ينتظر دقيقة حتى يطلق عليهم، أسقط أولا الرجل الذي كان يحمل السلاح ثم تبعه ياسفل والبقية يطلقون على ال3 الاخرين، أفرغ ياسفل رصاصه في رأس أحدهم حتى اختفى رأسه بين الدماء، هنا تذكرت شيئا فسألت عنه شاهين مباشرة كي لا أنساه:

-ماذا حصل مع نداء وأخوها باسلعندما أخذتهم إلى قرية أخرى؟

-لم آخذهم، وقفت أمام بيتهم أحرسهم فحسب.

اطمأن قلبي أنهما بقيا مع والديهما، قاطع تفكيري ذالك الرجل مجددا وهو يريد تفجير النفق، وافق الجميع على اقتراحه فراح مسرعا ليحضر البارود، بعد دقائق أتى ببرميل، نزل النفق وهو يصب البارود على طول الرواق إلى أن وصل تحت البوابة فوضع البرميل هناك، بعد أن خرج أشعلنا البارود وعدنا

مسرعين نحو المدينة، بعد دقيقتين سمعنا صوت دوي انفجار، حتى أن ذالك الباب قد طار من مكانه، هذه أول مرة تتحطم فيها بوابة، مالذي سيحصل؟ نظر إلي شاهين قائلا: "لم يحدث شيء!" كان ينتظر اخفاء هذا العالم بعد اختفاء البوابة.

وقفنا من بعيد ننظر إلى الدخان المتصاعد من المدخل، ظهر شبح الفتاة مجددا ولكن هذه المرة لم يلبث طويلا حتى انطلق كالشهاب نحو الغرب حيث الجبل البعيد، على كل فلا يوجد شاهد لهذه البوابة فقد بحثت في كل ركن من تلك المغارة ولم أجد شيئا ملفتا للانتباه، حتى أن القتلة أؤلئك نثروا دم الأطفال على جميع الجدران ولم تنفتح لهم البوابة، بقوا يقتلون الطفل تلو الآخر ظنا منهم أن هناك طفلا موعودا سيظهر.

عدنا إلى المدينة وحضرنا مراسم دفن الأطفال، بعد أن أنهينا دفنهم أتاني أهل المدينة يشكرونني ويعتذرون مني أنهم لم يصدقوني.

الوقت الآن تعدي الظهيرة، أصر ياسفل أن نبيت الليلة عنده فوافقنا، سألته بعد أن خف حزنه:

-ألم تقل أن لديك طفلان؟

-نعم، لم أجد الثاني.

في هذه اللحظة طرق الباب أحدهم، فتح ياسفل له وراح يتحدث معه لبضع دقائق ثم أغلق الباب وأتى إلينا وفي يده ورقة، قال: "ذهب رجال المدينة قبل ساعة ليروا النفق ذاك وعندما دخلوه وركام الأتربة يغطي المكان لم يجدوا أية بوابة، وإنما على بعد أمتار من المدخل وجدوا هذه الورقة، يرجح أنها طارت مع الانفجار". ناولني إياها، فتحتها لأجد خريطة، هنا حيث الجبل غربا والمدينة شمالا وباقي القرى متموضعة في الوسط، وفوق المدينة شمالا علامة إكس تدل على موقع النفق ذاك، ومن كل قرية يخرج سهم متجه نحو هذا الإكس، قلت بصوت متعجب: "هذه خريطة... " أكمل شاهين: "مسار أخذ الأطفال، الخطوط هي الطريق الذي كانوا يسلكوه، ولكن انظر إلى تلك العلامات الخضراء الثلاثة". رددت عليه: "لم أنتبه لها، واحدة في القرية قرب الجبل وواحدة في قرب أخرى بعيدة والثالثة هنا في المدينة، العجيب أن لا خطوط تتفرع منها على عكس علامة إكس" قال ياسفل: "سنبحث عن معناها، اتبعاني". خرجنا من البيت نجر الخطى خلف ياسفل، لا ندري ما يريد فعله، وقف وسط الشارع يصرخ: "يا رجال، وجدنا خريطة المسار الذي كان يتبعه القتلة، وجدنا فيها شيئا غريبا، وهو مُعلّمٌ على هذه المدينة، لهذا فليبحث كل واحد في بيته عن شيء غريب ولتبحثوا في الشوارع والأزقة؛ سنجتث أي شيء له علاقة بهؤلاء"

لم أكن أظن أن ياسفل له كلمة مسموعة هكذا. راح الجميع يبحثون في كل مكان عن شيء غريب، نظرت أنا إلى السماء فرأيت وحش البولغسار خرج

من شارع بعيد محلقا في السماء، جذبتُ شاهين ورحت نحو هذا الشارع، الأزقة متشابهة كلها ولكن لفت انتباهي رجل رث الملابس، لست أعدها منقصة فهناك مشردون لا يجدون ما يأكلون بلْه أن يجدوا ما يلبسوا، ولكن هذا الرجل غير، أراه من نفس طينة القتلة أؤلئك، الشر يقطر من عينيه يكاد يغرق المكان، تبعناه دون أن يشعر بنا، لما دخل لأحد الأزقة إختبأنا في الزقاق المقابل له، وجدناه يزيح برميلا من مكانه، كان هذا البرميل يغلق الزقاق بحيث لا يدخله أحد، لما أزاحه دخل الزقاق، يمتد هذا الزقاق على طول 7 أمتار ثم منعرج في آخره؛ لما استدار في المنعرج دخلنا الزقاق ببطء، عندما وصلنا المنعرج ذاك نظرنا بأعيننا فلم نجد الرجل، الطريق مسدودة ولا أثر له! لا يمكن أن يتسلق الجدران فهي عالية جدا، كان شاهين يلصق وجهه إلى الحائط قائلا: "هناك هواء يخرج من هنا" مرر كلتا يديه على الجدار حتى ضغط على حجر صغير فانفتحت فرجة بحجم رجل، دخلنا منها ظانين أن الرجل لن يلاحظنا ولكن الطريق كانت مستقيمة، لما دخلنا الفرجة كان الرجل واقفا على بعد 5 أمتار منا، كي تفهموا أكثر، هناك زقاق يمتد 7 أمتار ثم در إلى اليمين ثم هناك فرجة على يمينك تقودك إلى زقاق آخر مواز للزقاق الأول وطوله 5 أمتار، الآن أنت بجانبنا ترى هذا الرجل يرمقنا في رعب وخلفه هناك بوابة بعدية، أظنك بت تعرف الفرق بين بوابة بعدية وبوابة جانب النجوم؛ المهم أنه قد خرج من هذه البوابة ذالك الوحش المسخ، أشار بيده الصفراء ونحو الرجل فانفجر كاللغم، تناثرت

دماؤهُ على طول الرواق، قال المسخ بصوت يحمل رعب العالم: "كلها قرابين بدون فائدة". تمالكت نفسي بصعوبة وأنا أقول له: "أليس قتل البشر الغير قرابين لبوابة الڤولدن محرما عندكم؟" رد المسخ غاضبا:

-ألم تفهم بعد! كل هؤلاء الرجال الذين يروننا هم قرابين يعرفون حقيقتك وقد رأوك، كلهم من عوالم مختلفة قد التقيتَ بهم في اختباراتك السابقة.

-ومن أين عرفوا أني ڤولدن رغم أني لم أخبر أحدا بذالك؟

-هم رأوا البوابات البعدية فدخلوها، كل مجموعة أتت من عالم مختلف، وعندما التقوا هنا تعرفوا على بعضهم البعض، العجيب أن جميع البوابات البعدية أخرجتهم من هذه البوابة، امتلأ حينها هذا الزقاق بهم، كانوا قرابة 30 رجلا.

-رغم هذا فلم تجب عن سؤالي، كيف عرفوا أني ڤولدن؟ ومن كان يخطف الأطفال قبل أن أبدأ الاختبار حتى؟ من الذي كان يعطي الأوامر لضياء كي يختطف الأطفال؟

ظهر من خلفنا رجل قائلا: "أنا". التفتنا خلفنا لنجده آخر شخص كنت أتوقعه، إنه **الهواري**، شفتاي ترتعشان من هول الصدمة، بصعوبة أخرجت كلمة واحدة:

-ك.. كيف؟

-لماذا في رأيك رسب كل ڤولدن اجتاز الامتحان! لأن الحارس ينقلب عدوا، هذا هو البند الأخير المشطوب من بنود الامتحان.

لم أستطع الكلام فقال شاهين:

-لماذا ساعدتنا ضد السعداوي!

-لم أكن أساعدكم وإنما ألهيكم عن البوابة بموضوع إنقاذ الأطفال، على كل فقد انفتحت بوابة بعدية حينها وأتت بهم لهذا العالم.

قال الوحش المسخ بعدها:

-هو من أخبر الرجال أنك ڤولدن، هو من أمرهم بخطف الأطفال حتى قبل أن تفتح بوابة العذراء، بالطبع بعد أن عرفوا حقيقتك فقد صاروا مجرد قرابين نستطيع قتلها دون أن نعاقب.

بعد أن أفقت من هول الصدمة قلت لهواري:

-هل كان كل شيء مجرد خدعة! إنقاذك لي من سقوط الطائرة ومساعدتك لي في العالم الحقيقي!

-أظنك لم تفهم الأمر بعد، في العالم الحقيقي أكون في مهمة وفي عالم الاختبار أكون في مهمة أخرى.

-وكيف ظهرت لي الآن في وضح النهار؟ وكيف استطاع شاهين أن يراك الآن؟

-وكيف استطاع الرجال رؤيتي! أنا لست وحشا كي لا تراني سوى القرابين، أنا كيان مختلف، وأيضا بالنسبة لصديقك هذا فحاله كحال هؤلاء الرجال فهو قربان أيضا لبوابة الڤولدن ولكن لا يسمح للوحوش بأذيته لأنه أحد الممتحنين.

-ماذا عن حنان وأحمد!

-سبق وأن قُدموا قرابينا في العالم الحقيقي لذالك لا يسمح لنا بقتلهم مجددا.

كنت مرتعبا من أن يمس شاهين سوءا لذالك ارتاح بالي قليلا بعد أن علمت أنه في مأمن منهم، قال ذالك المسخ:

-مادام ألا أحد منا وجد الشاهد فنحن متعادلان.

-ما دمت تعرف أن هناك شاهدا وأن دم طفل يكفي لفتحها فلماذا أمرتم القتلة بقتل كل أؤلئك الأطفال؟

-المتعة يا فتى، متعتنا تكمن في قتل بني جنسكم، لو لم تكن ڤولدن ولو لم يكن هذا الذي بجانبك ممتحنا مثلك لفجرتكما الآن بيدي هاتين.

-كنتم تستطيعون قتلي في الامتحان السابق لأن عمري كان حينها في الأربعين وانتهت مناعة الڤولدن.

-بوابة الكهل كانت بوابتنا الرابعة التي سنفتحها، لذالك اخترنا تركك لنجعلك قربانا لها.

-أوليس قتلي وفتح 4 بوابات يقود إلى نفس النتيجة وهي انتهاء الامتحان!

-لا، في العالم الحقيقي أول بوابة انفتحت هي العذراء ثم الشاب ثم الجني، لم نكن نعرف أن هناك بوابة ثامنة اسمها الثولدن حتى انفتحت البوابة الرابعة.

-هل تقصد أنكم...

قال الهواري:

-نعم، عندما تفتح الرابعة تظهر بوابة الثولدن، لذالك تركوك حينها، أرادوا فتح بوابة الكهل يدمك ثم أخذك قبل أن يختفي العالم إلى بوابة الثولدن ليفتحوها.

-وهل إذا فُتحت في هذا العالم ستفتح في العالم الحقيقي؟

-المسخ: كان الأمر يستحق التجربة، ولكن الآن مادامت بوابة الطفل تحطمت والشاهد لا يعرفه أي أحد منا فأنتما عالقان هنا حتى تموتا وحينها تخسران الامتحان.

طار المسخ في الهواء بلمح البصر. لم ألحظ أن شاهين لم يتكلم طوال النقاش إلا في بدايته تقريبا. التفت من حولي فلم أجد شاهين، قلت لهواري:

-ماذا فعلتم بصديقي؟

-لم نفعل شيئا، ذهب مسرعا قبل قليل ولست أدري إلى أين.

تركت البوابة البعدية خلفي وانطلقت، وأنا أمر بجانب الهواري قلت له: "دم كل هؤلاء الأطفال في رقبتك" تنهد ثم قال:

-نحن في عالم غير حقيقي.

-وإن يكن، أنت وحش مثلهم.

-لا تنس أنني أنقذتك من منزل السعداوي وأخبرتك بأمر معاونيه.

-أنت لست هواري الذي أعرفه، سأكمل هذا الاختبار وأعدُّ نفسي لم أقابل الهواري فيه.

تذكرت شيئا فتوقفت في وسط الزقاق وقلت:

-ماذا حصل مع العفريت ذاك؟

-قيل لي أنه ضحى بنفسه ليوصل إليك رسالة، فتح بوابة بعدية فاحترق، ورغم هذا قد تلقى دراكولا رسالته وعدّل فيها.

-عاش بشرف ومات بشرف، على عكسك أيها الوحش.

انطلقت أبحث عن شاهين في كل مكان حتى التقيت بياسفل فسألته عنه، قال أنه أخذ منه الخريطة ومزقها ثم انطلق. جلست أفكر إلى أين يمكن أن يذهب، مادام مزق الخريطة فقد وضع احتمال أن تكون هي الشاهد، ولكن عندما لم يحدث شيء فأظنه انطلق غاضبا نحو ذالك النفق، هذا ما توصلت إليه بعد قراءتي لشخصية شاهين، على كلٍّ سيعود عندما يهدأ غضبه. كتبت له رسالة وأعطيتها لياسفل، أخبرته أن يعطها لشاهين عندما يعود.

استجمعت نفسي وانطلقت نحو الغرب حيث الجبل، شبح الطفلة ذهب باتجاهه وأنا سأذهب إلى هناك، صحيح أن البوابة بعيدة جدا عن الجبل ويستحيل أن يكون الشاهد هناك ولكني أحس أن الامتحان سينتهي عند هذا الجبل كما بدأ منه. قطعت الكلمترين إلى القرية ثم أكملت طريقي إلى الغابة، عبرتها حتى وصلت إلى الجبل، نظرت يمنة ويسرة فلم أجد شيئا، درت حوله إلى الجانب الآخر، هذا منزل ابنة الجبل وقد غطى الغبار كل جزء فيه، أكملت طريقي حتى وجدت أمامي شبح الفتاة الصغيرة وهو يبتعد مسرعا، تبعته راكضا كي لا أفقده، وعندما اختفى كنت واقفا تماما أمام الكهف وبجانبي بوابة العذراء المفتوحة، هناك حلقة مفقودة، من تكون هذه الفتاة الصغيرة ولماذا لم يأت أي أحد بسيرتها؟ هل أنا الوحيد الذي

يراها؟.. "نعم أنت الوحيد" صدر هذا الصوت من داخل الكهف، دخلته وإذ بي أجد شبح الفتاة الصغيرة جالسا وبجانبه أشباح أطفال كثر، لم أعرف منهم سوى بعض الأطفال الذين رأيتهم بالأمس في ذالك النفق، كانت الطفلة تتقدمهم وهم خلفها جالسون، قالت لي بصوت طفولي: "اجلس"، بدا لي صوتها مألوفا ولكني لم أعرف من تكون، جلست بجانب تلك الأشباح فابتعدوا عني، قالت لهم: "لا تخافوا، هذا صديقنا" ثم التفت إلي وهي تقول: "أنت أول ڤولدن يصل إلى هذه المرحلة"، قلتُ بصوت منخفض: "من تكونين؟ رأيتك حين كنت تظهرين للضحايا أنت وبعض الأطفال الآخرين تسلبين شعور الألم منهم". ابتسمتْ ثم وقفت وهي تقول:

-أنا طفلة تم قتلي مثل هؤلاء الذين بجانبك.

-لماذا أنت الوحيدة التي تظهر في عالمنا الحقيقي؟

-هناك أسطورة تقول أن من لم يقتص له يبقى شبحه في العالم يدور.

-هذه مجرد أسطورة.

-أولم تعايش أساطير تحققت! على كل، في أي بوابة أنت الآن تختبر؟

-بوابة الطفل.

-إذن فلأحكي لك كيف فتحت بوابة الطفل في عالمكم الحقيقي:

[29]كان العالم يسير على نحو عادي حتى دخلت فتاة عذراء إلى كهف فيه البوابة، كان الشاهد حينها هو الكهف، جرحت وسقطت منها قطرات دم على أرضية الشاهد فانفتحت بوابة العذراء، لما انفتحت خرجت منها بعض الوحوش، هذه الوحوش قامت بفتح البوابات واحدة تلو الأخرى، حينها كانت هناك 7 بوابات لا غير، لما فتحت بوابة العذراء فتحوا البوابتان (الشاب والجني)، وحين فتحوا البوابة الرابعة ظهرت لهم بوابة ثامنة وهي بوابة الڤولدن، هذه البوابة الرابعة التي فتحوها كانت بوابة الطفل، ماذا فعلوا ليفتحوها؟ بالطبع كان لهم أتباع من بني جنسكم يحضرون لهم الأطفال ويضحون بهم...

-أنا: مهلا لحظة! كيف استطاعوا تجنيد أتباع من البشر لصالحهم وهم لا يستطيعون رؤيتهم؟

-لم تختفي الوحوش عن أنظار البشر إلا بعد أن وقعوا معاهدة مع الجن على أن لا يمسوا بشريا بريئا بسوء.. دعني أكمل لك؛ البوابة هذه كنت أسكن بقربها، كانت داخل نفق تحت الأرض، كنت ألعب فيه دائما لأن ذالك النفق هو مخبأ سري لم يعرف بشأنه أحد، ولكن بعد أن أتى أتباع الوحوش أصبحوا يدخلونه سرا وأنا رأيتهم فتوقفت عن دخوله، كانوا يحضرون الأطفال ويذبحونهم أمام البوابة، الطفل تلو الآخر ولم يحدث شيء، لم

[29] الفتاة تحكي

يعرفوا مكان الشاهد ورغم هذا واصلوا ذبح الأطفال المختطفين. يأتون بأطفال لم أرهم في حياتي، ربما كانوا من قرى مجاورة، رغم هذا لم ينتبهوا أن هناك طفلة تسكن بجانب البوابة إلا متأخرا، لما علموا تسللوا إلى بيتنا واختطفوني، أدخلوني إلى النفق، كانت رائحة الدم تغطي المكان، وضعوا رأسي على الأرض و.... (بدأت الطفلة تبكي بلا دموع -طبعا لأنها شبح-) ووضع ذالك الرجل القذر قدمه على رقبتي ومرر سكينه عليها ثم أردفها بطعنات في بطني، أحسست بقرصة في رقبتي ثم دم يخنقني، وعيي يتركني شيئا فشيئا، وانفتحت البوابة.

-ألم تقولي أنهم لم يجدوا الشاهد! فلماذا انفتحت البوابة عندك ولم تفتح عند الأطفال الآخرين؟

-ذالك الشاهد كان في داخلي، شيء ما أكلته في صغري وبقي هناك في بطني، تلك الطعنات جعلت الدم يصل إليه.

-هذا فظيع، وأين أجد ذالك الشيء؟ وما هو أصلا؟

-لا أعرف ولكني متأكدة أن الشاهد الآن صار أنا.

اصابتني الدهشة والفزع ثم تذكرت شيئا فقلت:

-ما إسمك؟ ولماذا تساعدينني؟

-تواصلت معك في العالم الحقيقي، أنا التي أيقظتك من سباتك ووضعت فكرة دخول الاختبار في رأسك، وأنا التي آتيك في أحلامك أساعدك، أنا كنت أحاول التكلم على لسان نينيا ونداء ولو قليلا كي أستطيع مساعدتك ولكني لم أستطع لأني كنت أمنع من أشياء كثيرة، أنا التي كان يطاردني دراكولا عندما خرج، أنا التي كنت آتي الضحايا أنزع عنهم شعور الألم من خلال كلماتي المخدرة، أنا جميلة التي ساعدتك في قنبلة عين صالح، إسمي جميلة صاحبة العشر سنوات التي قُدمت قربانا لبوابة الطفل.

-لماذا؟ لماذا فعلت كل هذا من أجلي؟

-لأنك تشبهني، أنا كنت أختبئ في النفق هربا من تنمر الأطفال علي، أنا ولدت مشوهة مثلك وعانيت مثلك.

خرجتُ من الكهف بخطى متثاقلة أحاول استيعاب كل هذا؛ نادتني من الخلف قائلة:

-ماذا ستفعل؟

-آخر بوابة والشاهد أنت، وكأن هذا العالم مصمم لكي لا يفوز فيه الثولدن.

-هناك حل من جهتك وحل من جهتي، من جهتك تستطيع فتح بوابة بعدية إلى العالم الخارجي ترسل صديقك عبرها، ولكن هذا الحل سيجعلك تموت

لأنك خرقت بندا وهو فتح بوابة بعدية، وهذا سيجعل الامتحان ينتهي برسوبك لأنك لم تحطم الشاهد، ولكن صديقك سينجو.

-لو نجا صديقي فسيحطم شاهد بوابة الڤولدن في العالم الحقيقي وينهي أمر الوحوش.

-لا، لو خرج من هنا بالطريقة التي ذكرتها لك فلن يتذكر شيئا مما حصل هنا؛ لا شاهد ولا بوابات ولا شيء، لأنه خرج بطريقة غير قانونية، الامتحان يقول: يخرج الممتحن حيا اذا نجح في الاختبار.

-ماذا عن الحل من جهتك أنت؟

-**أن أخرج من عالم الامتحان**، جربت أن أدخل جانب النجوم من خلال بوابة العذراء المفتوحة خارج الكهف، هكذا أختفي من عالم الامتحان، أوليس خروج الشاهد من الاختبار كتحطيمه؟

-قلت أنك جربت، فماذا منعك؟

-الوحوش التي تحرس جانب النجوم لم يسمحوا لي، البوابة تراها مفتوحة من الخارج لكنها مغلقة من الداخل، قالوا لي أنهم لن يسمحوا لي بالدخول إلا بتقديم الڤولدن كقربان لهم.

-وماذا سيحصل لك عندما تدخلين جانب النجوم؟

-لا أدري.

-هيا بنا إذن.

-ستموت، لا تفعل أرجوك.

-ها أنت تهتمين لأمري كعادتك، لا تقلقي، سأموت في كلتا الحالتين، فلأمت دون أن يعلم شاهين بأمري إذن، سيمنعني لو علم.

-رغم هذا ابق هنا بجانبي ولا تذهب.

-أنت غبية يا تلميذتي، هههه

***

أنا شاهين: عندما ذهبت إلى النفق أريد البحث عن الشاهد لم أخبر العباس بشيء، تركته مع الهواري وذالك المسخ يتكلمون؛ شككت في أن الخريطة التي كانت في النفق هي الشاهد لذا مزقتها ولكن لم يحدث شيء فانطلقت نحو النفق؛ رفعت الباب الخشبي ودخلت، بحثت وبحثت ولم أترك شيئا يلفت النظر إلا حطمته، لما فقدت الأمل عدت إلى المدينة لأجد العباس غير موجود، أعطاني ياسفل رسالة منه، فتحتها على عجل لأجد خط يده بحروف مفهومة: "سأذهب وأنهي الاختبار بمفردي، أرجو ألا تبحث عني". غضبت حينها ورحت أركض خارجا من المدينة متجها نحو إحدى القرى

القريبة من الجبل، لما وصلت إلى القرية اظلمت الموجودات من حولي ثم ها أنا أمام رصاصة الإرهابي ذاك، راوغتها فلم تصبني، ثم أطلق جنودي المتخفين النار عليهم فقتلوهم، لمّا كانوا يمطرونهم بالرصاص أنا كنت على الأرض لم أستفق من الصدمة بعد، بعد مدة أتاني أحد رجالي قائلا: "سيدي، هل أنت بخير؟" أملت رأسي نحوه ببطء وقلت:

-أين هو العباس؟

-لما أدرته إلى الإرهابي ذاك رمى رصاصة عليه ثم اختفى العباس وتبقى منه...

أشار بيده إلى شيء مرمي هناك على بعد 4 أمتار، لم أتوقع في حياتي أن أصدم من رؤية ضحية ما، أنا الذي رأيت أشد أنواع التنكيل، لكن أن أرى رأس العباس ملقيا بجانبي كفيل بفقداني الوعي.

استيقظت على ضوء فوق رأسي، سرير أبيض وغرفة بيضاء وأنابيب تخرج مني، اعتدلت على السرير فأتاني طبيب من خارج الغرفة، أظنهم يراقبونني بكاميرات. قال الطبيب: "أخيرا استيقظت؟ كنتَ في غيبوبة لشهر كامل وقد أتتك رسائل كثيرة تجدها تحت وسادتك". أبعدت الوسادة كالمسعور ورحت أفتش في الرسائل لعلي أجد واحدة من العباس، رسائل كثيرة من منظمة البوراي ومن ساري ومن عائلتي، واحدة أخيرة وجدتها لم أعرف مرسلها فالاسم ليس مكتوبا عليها، فتحتها لأرى فوجدت كتابة بخط رقيق:

]

-أنت الناجي الوحيد من الامتحان، لقد نجح العباس واستطاع غلق جانب النجوم إلى الأبد، كان يجب أن يقدّم نفسه قربانا لكي أدخل أنا جانب النجوم وتخرج أنت ناجحا، ولكنه اختار فتح بوابة بعدية وإرسالي إلى هذا العالم، باغتني بفعلها، أظنه فكر بأن أكتب لك رسالة، قال لي قبل أن يتلاشى: (عيب علي لو تركتك تعيشين وسط تلك الوحوش، لدي طلب أخير أظنك تعرفينه، شكرا لك يا جميلة). كان يريدك أن تعرف النهاية وقد نفذت طلبه.

مِن تلميذة الجبل: جميلة

[

النهاية.